روائع المسرح العالمي
٢٣

# بيت برناردا ألبا

## مسرحية من ثلاثة فصول


تأليف
فيدريكو غرسيه لوركا

ترجمة
الدكتور محمود علي مكي

مراجعة
الدكتور حسين مؤنس

تقديم
الدكتور لطفي عبد البديع



الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

# مقدمة

بقلم
الدكتور لطفي عبد البديع

غرسية لوركا ( ١٨٩٨ – ١٩٣٦ ) شاعر أندلسي جعل من الشعر الغنائي والمسرح توأمين ؛ فمسرحه شعر درامي ردد فيه أصداء الغنائية التي خلق منها عالماً مسرحياً متباينا بشخصياته وصراعه .

على أن الطابع الشعري لمسرحياته لا يتمثل في القيمة الغنائية لشعره ، أو في المقطوعات الشعرية الواردة فيها بل يتمثل قبل كل شيء في الجوهر الدرامي ذاته وفي الحياة المخلوقة بأبعادها الجمالية .

وفي مسرحه أشكال ثلاثة ، أحدها : ما كان من وحي رومانتيكي تغشاه روح غنائية خزينة ويولي فيه وجهه شطر الماضي ، وثانيها : ما يجري مجرى المهازل (Las farsas) بما فيها من انطلاق ومتعة وهوى وسخرية تحيط بانفعال

غنائى مقنع ، وثالثها : الدراما فى موضوعها الشعبى الذى يتأتى فيه الشاعر عن الحقيقة ويتوخى الخيال ، ومن ذلك مسرحية عرس الدم ومسرحية العقيم ثم مسرحية بيت برناردا ألبا التى نقدمها اليوم إلى قراء العربية .

وقد أدار لوركا المسرحية على شخصية نسائية هى برناردا ، وركز عليها الأضـــواء بحيث توارى غيرها فى الظلام ، وبرنادا لا تتميز عن بناتها بمجرد وجودها وامتداد كيانها . بل بأنها شخصية سيكلوجية مسرحية وهذا ما لم يتأت لبناتها فهن من الداخل سواسية لا يختلفن إلا فى التفاصيل الخارجية وذواتهن تكاد تقوم على الغريزة الجنسية فى صورتها الساذجة البدائية . لا الغريزة التى يفسرها ويحياها سائر الناس بأبعادهم الميتافيزيقية والسيكلوجية ممن تفردت أشخاصهم ودلت أسماؤهم على مسميات إنسانية متكاملة ، فأرواح هؤلاء النسوة قد فنيت فى أجسادهن بحيث يعد فى المسرحية حديث إلا عن هذه الأجساد حتى لقد قالت أديلا : أنا أفعل بجسدى ما يحلو لى .

وجسد الرجل عندهن ليس حقيقة تعبيرية تتجلى

فيها كلية الرجولة بل مجرد جسد محسوس يمكن أن يشابهه غيره ويوازيه .

ولعل خير ما توصف به بنات برناردا الخمس أنهن تجريدات شعرية وكائنات عامة تبلغ مبلغ الرمزية . فقد مثلن فى المأساة الغرائز المغلوبة على أمرها من الخارج والقهر الذى فرضته عليهن وعلى من معهن قوة خارجية لا سبيل إلى دفعها .

أما برناردا ألبا فلا يتأتى الوقوف عليها من جانب الغريزة الجنسية ولا من ناحية ما يتصل باللاوعى ، والطريق إليها لا يبدأ من روحها بل يمضى إليها من الحقيقة الاجتماعية والخلقية التى تكتنفها ، ذلك أن الشاعر رآها من الخارج وقد صنعها عالم خارجى باعتبارها ثمرة لموقف اجتماعى وخلقى معين وتلك سمة تشترك فيها أعمال درامية أخرى لجارثيا لوركا ثم طاب له أن يجرد الشخصية ويقصرها على مظاهر الفاعلية لا فى الواقع الحى ولكن فى الواقع الشعرى للدراما وعلى هذا النحو لم تعد بيت برناردا ألبا وثيقة أو سجلا لحقيقة تاريخية فى إسبانيا .

وبطولة برناردا ألبا بطولة سلبية تتم فى مجال الأمومة غير أنها مضادة لغريزتها ؛ نعم إن برناردا تضحى ببناتها فى سبيل أخلاق لم تصنعها ولكنها أخلاق تؤمن بها وتشترك فيها باعتبارها قوّامة عليها ومن ضحاياها .

وأخلاق أهل القرية التى تعيش فيها برناردا ليست ساذجة بل هى أخلاق عقلية إن صح هذا التعبير . قد صنعت من أفكار سلبية وحدود وقيود . وإذا كانت المسيحية تُخلّف وراءها عبقا من الرحمة والغفران فإنها تتركه من ورائها أيضاً نفوساً معذبة فى هجير الآلام ، وفى قرية برناردا ألبا كنيسة واكليروس . ففيها قس يرتل الأناشيد صباح مساء . ولعله الرجل الوحيد الذى تقع عليه أعين النساء لأنه يرتدى عباءة ، ثم فيها أيضاً عبادة وشعائر دينية ولكن لا شىء من هذا كله يشفى غليل النفوس التى تتطلع إلى الحب . فتصارى ما يؤدى إليه التمايز بين الناس أن تقاس المرتبة الاجتماعية للمرء بكمية التعازى التى يتلقاها فى جنازاته وعدد النساء المجللات بالسواد .

ولقد كان من مظاهر الانتصار والرفعة لبرناردا أن

تشهد القرية كلها جنازة زوجها . وإذا كانت الألسنة تتناول برناردا بالذم لقسوتها فإن هذه القسوة لا يبرأ منها أحد ممن يعيبونها فالشفقة فى ذلك العالم شريعة لا يجرى أحد على مقتضاها وإنما تتخذ سبيلا للحكم على الآخرين .

وكل ما يهم المرء هو الكينونة ، أو بعبارة أدق الكينونة المتفوقة على غيرها ، غير أن هذا الاهتمام قاصر على طبقة معينة هى التى تعرف بعلية القوم ، أما الطبقة الأخرى من العمال والفقراء الذين احترفوا الاستجداء فهى مبعدة عن هذا المجال ، هم كما تقول برناردا من طينة أخرى .

ويمكن تحقيق الكينونة المتفوقة من طريق الغنى والشهرة ، وسلوك برناردا ألبا مكتسب من الثراء حتى صار بيتها حصناً وظيفتها أن تتولى الدفاع عنه :

وإذا كانت برناردا حذرة فما ذلك إلا لأن العشرة بين الناس لا تقوم على التسامح ولا على الحب بل تقوم على الحقد والحسد والنميمة ، فالقرية أشبه بمعركة صامتة كل من فيها عدو للاخر ، وهزيمة المرء فى أن يعرف

الآخرون عثرته. ولذلك يتقى الوقوع فى الشبهات وإذا وقع فيها أخفاها حتى يحمى نفسه من الألسنة الحداد.

وإذا كان بيت برناردا ألبا مغلقاً للحداد مدة ثمانية أعوام وبيوت القرية كلها مغلقة والنساء محتجبات فإن القرية كلها كالميدان المفتوح تتجسس فيه العيون التى لا تحول دونها جدران أو أسوار إذ لا وجود للحياة الخاصة التى تنجى المرء من التجريح.

وغرسية لوركا لا يروى لنا ماضى برناردا ولا يكشف لنا عن ذاتها الداخلية، كل ما هناك أنها مخلوقة واقعية تتناول الأشياء كما هى ولا يدور بخلدها أن الأمور يمكن أن تكون على نحو آخر؛ وتريد أديلا التى أوتيت نصيبا من الذكاء أن تسحق العالم الذى يحول دون التعبير الحر عن غريزتها.

وقد كانت نهاية المسرحية هزيمة لعالم برناردا فقد صار بيتها مضغة فى الأفواه.

ولما كان مضمون المسرحية يقوم على التوتر فقد كانت لغتها بصورها الشعرية الحية مرآة للحركة والسرعة التي يتسم بها تطور الأحداث على نحو جعل المسرحية قمة من قمم الأدب الإسباني المعاصر .

لطفي عبد البديع

# شخصيات المسرحية

برناردا (٦٠ سنة)

ماريا خوسيفا (أم برناردا - ٨٠ سنة)

أنجوستياس (بنت برناردا - ٣٩ سنة)

ماجدا لينا (بنت برناردا - ٣٠ سنة)

أميليا (بنت برناردا - ٢٧ سنة)

مارتيريو (بنت برناردا - ٢٤ سنة)

آديلا (بنت برناردا - ٢٠ سنة)

لا بونشيا (خادمة - ٦٠ سنة)

خادمة (٥٠ سنة) ٥ بروبنشيا (٥٠ سنة)

متسولة

امرأة ١ امرأة ٢ امرأة ٣ امرأة ٤

بنت صغيرة

نساء يرتدين

ملابس الحداد

[ غرفة فى داخل بيت برناردا ألبا ، الجدران غليظة وناصعة البياض، الأبواب فى هيئة أقواس ، وتتدلى من أعلاها ستائر غليظة « مكشكشة » ، كرسى من القش ، صور معلقة على الجدران تمثل حوريات وملوكا من وحى الأساطير والخرافات ، الجو صائف ، والسكون العميق يخيم على المسرح الذى يبدو معتما ، حينما يرفع الستار يكون المسرح خاليا تماما ، تسمع دقات أجراس كنيسة من بعيد ، تخرج الخادمة إلى المسرح فى ذلك الوقت ]

الخادمة : تباً لهـــذه الأجراس ، لكأنى أحمل بين صدغىّ أضعافا منها مضاعفة .

لابونثيا : [ تخرج وفى يديها خبز ونوع من اللحم المقدد تقضم منهما ] — لقد مضى عليهم ساعتان ، وهم لايزالون يرجعون الصلوات والتسابيح

على الميت : لقد قدم عدد كبير من الرهبان والقسيسين من جميع القرى المجاورة ، وبدت الكنيسة فى أبهى حللها ، وقد أدى تكاثر الناس وزحامهم إلى أن أغمى على ماجدالينا فى أثناء الصلاة الأولى .

الخادمة : مسكينة . . إنها ستكون أكثرهن انفراداً وأشدهن ألما .

لابونثيا : نعم ، فقد كانت أحبهن إلى قلب أبيها ، آه . . الحمد لله على أننا بقينا بمفردنا هنا قليلا ، لقد أتيت لآخذ قسطا من الطعام .

الخادمة : آه لو رأتك برناردا .

لابونثيا : مادامت هى لا تأكل فى هذه الأيام فلعلها تريدنا أن نموت كلنا جوعا ، هذه المتحكمة . . المسيطرة ! . . ولكن

فلتمت بغيظها . : فهأنذا قد فتحت كيسا من أكياس اللحم المقدد .

الخادمة : [ فى رقة استعطاف وانكسار ] — ولماذا لا تعطينى قليلا ؟

لابونثيا : وما يمنعك ؟ ادخلى وخذى لك أيضا خفنة من الحمص . : فلست أظن أحداً فى مثل هذا اليوم سيفطن إلى ذلك .

[ صوت من الداخل يصيح ] — برناردا ! . .

لابونثيا : . . العجوز ! أتراك أحكمت إغلاق الباب عليها ؟

الخادمة : إنى أدرت مفتاح القفل عليها مرتين . .

لابونثيا : لقد كان ينبغى أن تعزى ذلك بالمتراس الخشبى . . ألا تعرفين أن لهذه العجوز أصابع كأنها كلاليب ؟

[ صوت من الداخل يصيح مرة أخرى ] — برناردا . .

لابونثيا : [ فى صوت مرتفع ] — هاهى ذى قادمة .

[ تتوجه إلى الخادمة وتقول فى عجلة ] نظفى كل شىء بعناية ؛ فإن برناردا إذا لم تر كل شىء يكاد يلمع نظافة ، فإنها لن تتردد فى اقتلاع ما بقى من شعر رأسى .

الخادمة : يا لها من امرأة !

لابونثيا : إنها طاغية تصب قسوتها وبطشها على كل من يحيط بها . إنها قادرة على أن تجثم على قلبك سنة كاملة لترى كيف تموتين ببطء دون أن تفارق شفتيها تلك الابتسامة الباهتة الباردة التى ترتسم على وجهها الملعون .. نظفى هذا اللوح الزجاجى . .

الخادمة : لقد تخضبت أصابعى دما من التنظيف والمسح .

لابونثيا : نعم ، هكذا ينبغى أن نفعل حتى تكون « هى » أنظف الجميع ، وأطهر الجميع .. ،

بل كذلك وأطول الجميع ! . . لشدما نعم زوجها المسكين فى قبره بالراحة والطمأنينة ! . .

[ تكف أجراس الكنيسة عن العليل ]

الخادمة : هل حضر جميع أقارب الأسرة ؟

لابونثيا : أقاربها هى . . نعم ، أما أقاربه هو فإنهم يكنون لها أشد الكراهية ، ولهذا فإنهم حضروا لإلقاء النظرة الأخيرة على جثمانه ثم صلّبوا عليه ومضوا لشأنهم . .

الخادمة : هل هناك كراسى كافية للمعزين ؟

لابونثيا : كافية وزيادة ، وإن لم تكف فليجلسوا على الأرض ، إن الناس لم تدخل تحت سقف هذا البيت منذ أن توفى أبو ناردا ، فهى لا تريد لأحد أن يراها متربعة على عرش ملكها . . صب الله عليها اللعنات !

الخادمة : على أية حال فهى تعاملك معاملة طيبة .

لابونثيا : نعم . . ثلاثون سنة وأنا أغسل لها ملاءاتها وثيابها ، ثلاثون سنة وأنا آكل ما يتبقى

من طعامها ، ثلاثون سنة وأنا أقضى الليل ساهرة إذا ابتلاها الله بالسعال ، أيام كاملة وأنا أتجسس لها على الجيران من خلال النوافذ وثقوب الأبواب لكى أحمل إليها أخبار سكان الحى . . حياة بلا أسرار ، كلهن يتجسسن بعضهن على بعض . . ومع ذلك ، لعنها الله ، لشدما وددت أن يدق فى عينيها مسماران ! .:

الخادمة : ويحاً لك ! . .

لابونثيا : ومع ذلك فإننى ما زلت كلبة أمينة ، أعوى حينما تأمرنى أن أفعل ، وأعض لها أعقاب الذين يجرؤون على سؤالها صدقة إذا هى هيجتنى إلى ذلك ، إن لى ولدين يشتغلان فى أرضها ، وقد تزوجا بحمد الله ، ولكن . . ستأتى الساعة التى لا أحتمل فيها المزيد . .

الخادمة : وحينئذ . . ؟

لابونثيا : وحينئذ سأحبسها فى غرفة وأظل أبصق

فى وجهها عاما كاملا . « برناردا ، هذه من أجل كذا ، وتلك من أجل كذا » ، وهكذا حتى تصبح بين يدىَّ كسحلية رجمتها أيدى الصبيان ، ووالله ما تزيد هى ولا سائر أهلها عن فصيلة السحالى : . وما كنت — والله يشهد — لأحسدها على ما تملك : فقد وهبها الله خمس بنات دميمات وفقيرات إذا استثنينا كبراهن « أنجوستياس » ابنتها من زوجها الأول التى لها قدر من ثروة ورثتها عن أبيها :. أما الأخريات فقمصان من رفيع الثياب وملابس كثيرة الزركشة والتطريز . . ثم لا ميراث إلا كسرة من الخبز وعنقود من العنب .

الخادمة : ومع ذلك فليت لى مثل ميراثهن . .

لابونثيا : إننا نحن تكفينا أيدينا التى وهبنا الله إياها ثم حفرة تستقر فيها أجسادنا فى أرض الحقيقة . .

الخادمة : نعم ... الأرض الوحيدة التى تركت لأمثالنا ممن لا يملكون من الدنيا شيئا .

لابونثيا : هذا اللوح الزجاجى ما زالت فيه بعض البقع .

الخادمة : إننى لم أتمكن من إزالتها بالصابون ولا بأقصى ما استطعت من مسح .

[ تسمع دقات أجراس الكنيسة ]

لابونثيا : ميعاد الصلاة الأخيرة ، سأذهب للإنصات إليها ، فإنه يعجبنى ترتيل هذا القسيس ، لقد استمعت إليه وهو يرتل صلاة « أبانا الذى فى السماء » ، فما كان أشبه صوته بإبريق يُصَبُّ فيه الماء ليملأه قليلا قليلا ، ثم ختم الترتيل بنبرة عالية مفاجئة كان الاستماع إليها نعمة من نعم الله ، ومع ذلك فلست أظن قسيسا أجهر صوتا من « ترونتشابينوس » مساعد القسيس السابق ، وإنى أذكر أنه قام بالترتيل فى جنازة أمى رحمها الله ،

فكادت الجدران ترتج من توقيعه ،
وحينما كان صوته يرتفع بكلمة « آمين »
كان المستمعون يكادون يظنون أنه عواء
ذئب اقتحم الكنيسة [ ثم ترفع صوتها مقلدة ]
آمي .. ي ... ي ... ن [ تنتابها نوبة من السعال]

الخادمة : كفى كفى ... لقد أوشكت أن تحيلى حنجرتك إلى تراب ..

لابونثيا : شيء آخر .. هو الذى كنت أود أن أحيله إلى تراب [ تخرج ضاحكة ]

[ تستمر الخادمة فى التنظيف . تسمع دقات الأجراس من جديد ]

الخادمة : [ مرافقة بدندنتها صوت الأجراس ] — تن .. تن .. تان . تن .. تن :. تان : شمله الله برحمته الواسعة ..

[ تظهر بالباب متسولة معها طفلة صغيرة ]

المتسولة : لله الحمد ! . .

الخادمة : [ مستمرة فى الدندنة ] — تن .. تن .. تان : مد الله فى عمرنا جميعا .. تن .: تن .. تان

المتسولة : [ رافعة صوتها ] — لله الحمد ! ..

الخادمة : [ مهتاجة ] — أنت مرة أخرى ؟

المتسولة : أنا قادمة من أجل البقايا ..

[ تكف الأجراس عن الصليل ]

الخادمة : اسمعى .. من هذا الباب الطريق إلى الشارع .. أما البقايا فإنها اليوم لى أنا ..

المتسولة : إننا أحوج إليها منك .. فأنا وابنتى وحيدتان فى هذا العالم .

الخادمة : إن الكلاب أيضاً وحيدة ومع هذا فهى تعيش ..

المتسولة : لقد كنتم دائما تعطوننى الفضلات ..

الخادمة : إلى الخارج .. من الذى قال لكما أن تدخلا ؟ لقد تركتما آثار أقدامكما على أرض المدخل التى كلفنى تنظيفها كبير العناء . [المتسولة وطفلتها تخرجان ، وتعود الخادمة إلى تنظيف موقع أقدامهما ] .. أرض من الخشب تلمع بالزيت حتى تصبح كالمرآة ، وكوى فى الجدران نظيفة بيضاء ، وأسرة من

الصلب ! .. أما نحن فلنتجرع المر فى أكواخ مبنية من الطين وبيوت ليس فيها من أثاث إلا طبق وملعقة ، ليتنا نموت جميعاً حتى لا يبقى أحد يحدث بعدنا بمثل هذا الحديث [ تعود الأجراس إلى الصليل ] .. نعم .. نعم .. ليزدد الصياح والعويل .. وليحمل المشيعون تابوته المذهب على أكتافهم ، فى مثل هذا اليوم يستوى الجميع .. أنا وأنت يا « أنتونيو ماريا بينائيدس » تجرع غصة الموت اليوم أيها السيد الأنيق بعد أن كنت تختال منتصبا فى حلة من الصوف الجيد وفى حذاء طويل فاخر .. تجرع غصة الموت .. فلن تعود بعد اليوم إلى رفع قميصى عن جسدى وراء خطيرة خيولك ! ..

[ فى هذه اللحظة يدخل عدد من النساء المعزيات وهن فى ثياب الحداد السود من أعماق المسرح اثنتين اثنتين ، وفى أيديهن مناديل كبيرة ومراوح

سوداء ، ولا يزلن يتقاطرن ببطء حتى يمتلىء بهن المسرح . الخادمة لا تراهن حتى يرتفع صوتها بالبكاء والنحيب ] آه يا سيدى « أنتونيو ماريا بيناڤيدس » ! . . أهكذا يقضى عليك بألا ترى جدران هذا البيت مرة أخرى ؟ أهكذا يقدر ألا تأكل من خبز هذا المنزل . . أأشهد أنا ذلك وأنا التى كنت أكثر من خدم فى هذا البيت حبا لك وتعلقا بك ؟ [ تشد شعرها فى حزن وألم مصطنعين ] أترانى سأعيش بعـــد أن واروك فى التراب ؟ .. أترانى سأعيش يارباه ؟

[ يكمل دخول مائتى امرأة إلى البيت ، ثم تظهر بالباب برناردا وبناتها الخمس ] .

برناردا : [ متوجهة إلى الخادمة ] — هس !

الخادمة : [ مواصلة البكاء ، فى لهفة ] — برناردا !

برناردا : قليـــلا من الصياح ، ومزيداً من العمل ، لقد كان أولى بك أن تنظفى كل هذا حتى نتقبل عزاء الناس . . اذهبى ، فليس هذا مكانك . [ الخادمة

تذهب باكية ] . إن هؤلاء الفقراء مثل الحيوانات ، وهم يبدون كما لو أن الله خلقهم من طينة أخرى .

امرأة ١ : ولكن الفقراء أيضا يحسون بالألم والجزع .

برناردا : نعم ، ولكن سرعان ما ينسونهما أمام طبق من الحمص .

بنت : [ فى استحياء ] — ولكن أليس الطعام ضروريا للحياة ؟

برناردا : [ بحدة ] — فى مثل سنك لا ينبغى لك الحديث أمام الكبار .

امرأة ١ : اسكتى يا بنت .

برناردا : لست أريد لأحد أن يلقننى درساً ، ولم أسمح بمثل ذلك قط . [ متوجهة إلى النساء ] اجلسن [ يجلس النساء ، ثم تعقب ذلك فترة صمت طويلة ] . . ماجدالينا . . كفى عن البكاء ، وإذا أردت أن تفعلى فلتختبئى تحت سرير ، هل سمعتنى ؟

امرأة ٢ : [ إلى برناردا ] — هل بدأتم العمل فى فلاحة الأرض ؟

برناردا : أمس

امرأة ٣ : إن أشعة الشمس تسقط على الأرض كأنها رصاص يغلى .

امرأة ١ : منذ عدة سنين لم نر مثل هذا الحر الشديد .

[ فتر تصمت ، تتحرك مراوح السيدات فى أيديهن ] .

برناردا : [ إلى الداخل ] — هل أعد شراب الليمون ؟

لابونثيا : نعم [ تخرج وفى يديها صينية كبيرة ملئت بأكواب من الليمون توزعها على الحاضرات ] .

برناردا : مرّى أيضا على الرجال .

لابونثيا : هم يتناولون شرابهم الآن فى الفناء .

برناردا : حينما يخرجون ليخرجوا من حيث دخلوا ، فلست أريد أن يمرّوا من هنا .

بنت : [ إلى أنجوستياس ] — بيبى إل رومانو كان بين المعزين ؟

أنجوستياس : نعم ، كان هناك .

برناردا : [ فى حدة ] لقد كانت هناك أمه ، وهى لم تر إلا أمه بين المعزيات ، أما هو فإنها لم تشاهده هى ولا أنا . .

البنت : لقد بدا لى . .

برناردا : [ تقاطعها ] — الذى كان هناك ورأيناه جميعاً ذلك العجوز الأرمل داراخالى فقد شهدناه قريباً جدا من عمتك . . كلنا رأينا ذلك !

امرأة ٢ : [ على حدة . فى صوت خفيض حافل بالغيظ ] — لسان كأنه خنجر ! . .

امرأة ٣ : [ مرددة ] — لسان كأنه خنجر ! . .

برناردا : إنى لأعجب لهؤلاء النسوة اللاتى يدرن رؤوسهن فى الكنيسة لرؤية هذا وذاك ، ألا يعلمن أنه ليس لهن أن ينظرن إلا إلى من يباشر طقوس الصلاة ، وحتى هذا إنما يباح لهن النظر إليه لأنه يرتدى ملابس أشبه بملابس النساء ، إن

الالتفات فى الصلاة ليس إلا استهتاراً بها وانتهاكاً لها .

امرأة ١ : [ فى صوت خفيض ] — هـــذه الصلاة العجوز !

لابونثيا : [ تصر بأسنانها وتقول بصوت خفيض ] — لعنك الله أيتها الشوهاء . .

برناردا : لله الحمد !

النساء : [ جميعاً يرسمن علامة الصليب ] — حمداً له حمداً دائماً . .

برناردا : ارقد فى سلام . .

إلى جانب السيدة العذراء : .

الجميع : ارقد فى سلام . .

برناردا : إلى جانب سيدنا ميكائيل .

حامل سيف العدالة . .

الجميع : ارقد فى سلام . .

برناردا : والمفتاح الذى فيه مورد كل خير

واليد التى يكف بها كل شر

الجميع : ارقد فى سلام .

برناردا : ومع الذين رضى الله عنهم

وفى الأرض التى يزينها النوار

الجميع : ارقد فى سلام

برناردا : مع أرواح البررة الطاهرين

الساعية فى فضاء البر وفوق أمواج البحر

الجميع : ارقد فى سلام .

برناردا : اللهم أنزل السكينة على قلب عبدك أنتونيو ماريا بيناڤيدس واشمله بجلالك المقدس .

الجميع : آمين

برناردا : [ تقف على قدميها وترتل ] — ليهبه الله السلام الأبدى. . .

الجميع : [ يقفن ويرتلن فى صوت واحد على طريقة التراتيل الكنسية ] - وليغمره نور الخلود . .

[ يرسمن علامة الصليب ، ثم يقدمن العزاء لبرناردا واحدة بعد واحدة ]

امرأة ١ : منحك الله الصحة والعافية حتى تواصلى

الصلاة على روحه !

امرأة ٣ : ولا حرمك من لقمة الخبز لك ولأهل بيتك !

امرأة ٢ : ولا من ستر يمده على بناتك !

[ النساء يقفن صفا ويخرجن واحدة وراء واحدة مقدمات العزاء لبرناردا ] .

[ تخرج أنجوستياس من باب آخر يطل على البهو ] .

امرأة ٤ : ومتعك الله بنعمة زوجك المرحوم ! !

لابونثيا : [ تدخل وفي يدها كيس ] هذه النقود جمعها المعزون من الرجال من أجل الصلاة على روحه .

برناردا : عبرتي لهم عن شكرنا وقدمي لهم أقداحاً من الشراب .

ما جداليا : [ ماجداليا تخنقها العبرة ] . . .

بنت : ماجداليا !

برناردا : [ متوجهة إلى ابنتها ماجداليا ] . هس ! .

[ يتم خروج النساء وترمقهن برناردا بنظرة قاسية ] . عجلن بالخروج يا نساء السوء

واعملن ألسنتكن فى نقد كل ما شهدتن :.
عصمنا الله من دخولكن مرة أخرى
من هذا الباب !

لابونشيا : أظنك جديرة بألا تتحدثى بالشكوى ،
فقد حضر أهل البلد جميعاً لتقديم فروض
العزاء . .

برناردا : نعم . . . حضروا جميعاً لكى يلطخوا
بيتى بالعرق القذر المنبعث من خرقهم ،
وبالسم الذى يجرى على ألسنتهم !

أميليا : لا تقولى ذلك يا أماه بحق الله !

برناردا : إن ما أقوله ليس إلا ما يستحقه هذا البلد
الملعون الذى حرمه الله حتى من ماء
أنهاره ، ولم يجعل له مستقى إلا من
آبار راكدة لا يكاد أهله يتذوقون الماء
منها إلا وهم على وجل من أن يكون
السم قد مازجها .

لا بونشيا : [ ناظرة إلى الأرض ] . يا إلهى كيف
تركوا أرض المنزل بعد أن تشققت

يداى فى تنظيفها ! . .

برناردا : كما لو كان قد اقتحم المنزل قطيع من الماشية ! [ تنحنى لاجونثيا لتنظيف الأرض ] يا بنت . . . أعطينى مروحة . . .

أديلا : خذى يا أمّ [ تعطيها مروحة مستديرة رسمت عليها أزهار حمراء وخضراء ] .

برناردا : [ تلقى المروحة على الأرض فى غضب ] أهذه هى المروحة التى تقدم إلى أرملة ؟ أعطينى مروحتى السوداء وتعلمى كيف يكون احترام فروض الحداد .

مارتيريو : خذى مروحتى يا أماه .

برناردا : وأنت ؟

مارتيريو : لست أشعر بالحر .

برناردا : ابحثى لك إذن عن مروحة أخرى فإنك ستحتاجين إليها . ولتعلمن جميعاً أن الحداد لدينا ثمانى سنوات ينبغى ألا يدخل خلالها من أبواب هذا المنزل ولا من

توافذه حتى هواء الطريق نفســـه ، ولتعتبرن منافذ هذا البيت كما لو كانت مسدودة لا مخرج منها ولا مدخل إليها . هكذا جرت العادة فى هذا البيت حينما توفى أبى وحينما توفى من قبلة جدى . ولتشغلن وقتكن فى ثياب زفافكن ، ولتبدأن بالعمل فى ما يشـــتمل عليه صندوق ثيابى ؛ فإن به عشرين قطعة من الحرير ، تســـتطعن أن تقطعنها لتخططن منها ملاءات وطرحا ليوم زفافكن ، وأما ما تتطلبه تلك الثياب من تطاريز فإنه أمر ســـتتكفل به ماجداليا .

ماجداليا : سواء لدىّ أن أقوم بهذا العمل أوغيره .

أديلا : [ فى مرارة ] — إذا لم يكن لديك استعداد لشغل ثيابنا فلك أن تتركيها كما هى ، وهكذا تبدو ثياب زفافك أنت أجمل مما يرتديه جميعنا .

ماجدالينا : لا ثيابى ولا ثيابكن . . فأنا أعرف أننى لن أتزوج أبدا ، فإنه من الخير لى أن أحمل إلى المطحن أكياس الغلال . . أو أن أقوم بأى عمل آخر على ألا يكون انتظارى جالسة فى هذه القاعة المظلمة أياما وأياما . .

برناردا : هذا الانتظار هو ما تفعله كل امرأة . . .

ماجدالينا : ألا لعن الله النساء جميعهن !

برناردا : اسمعى . . ليس لأحد فى هذا البيت أن يعمل إلا ما آمر أنا بعمله . . أما النساء فلا عمل لهن إلا خيط وإبرة . وأما الرجال فلهم سوط وبغلة يعملون بهما فى الحقل . هكذا يفعل الناس أمثالنا ممن أعطاهم الله نصيبا من الثروة .

[ تخرج أديلا ] .

[ يسمع صوت من الداخل ] — برناردا . . دعينى أخرج !

برناردا : اتركنها تخرج .

الخادمة : [ تدخل المسرح وهى تقول : ] — لقد كلفنى منعها من الخروج أشد العناء : : إن أمك قد بلغت الثمانين ، ولكنها ما زالت قوية كأنها جذع شجرة : :

برناردا : ليس ذلك من الغريب ، فقد كان جدى مثلها أيضاً فى القوة :

الخادمة : لقد اضطررت خلال صراعى معها أن أسد فمها بكيس فارغ ، فقد كانت تواصل الصياح منادية إياك بأن تعطيها قليلا ولو من ماء الغسيل القذر لكى تطفئ به عطشها وقطعة من لحم الكلاب الذى تقول إنك لا تعطينها غيره : :

مارتيريو : ما أسوأ نيتها ! . :

برناردا : [ متوجهة بالكلام إلى الخادمة ] — اتركيها تروّح عن نفسها قليلا فى الفناء . :

الخادمة : لقد أخرجت من صندوقها خواتمها وسائر

حليها فلبستها وقالت لى إنها تريد أن تتزوج . [ البنات يضحكن ]

برناردا : اخرجى معها إلى الفناء ولا تدعيها تقترب من البئر .

الخادمة : لا تخافى من أن تلقى بنفسها فيه :

برناردا : لا يهمنى أن تفعل ، غير أنى أخشى أن تراها الجارات هناك من خلال نوافذهن :

[ تخرج الخادمة ]

مارتيريو : سنذهب لنغير من ثيابنا .

برناردا : حسنا .. ولكن حذار من خلع « مناديل» الحداد عن رؤوسكن . . [ تدخل أديلا ] وأنجوستياس ؟

أديلا : [ فى لهجة ذات مغزى ] — لقد رأيتها مطلة من بين قضبان بوابة المنزل ، من حيث خرج الرجال منذ لحظة .

برناردا : وأنت ؟ ماذا ذهبت لتفعلى لدى البوابة ؟

أديلا : كنت أتفقد الدجاج لأرى ما إذا كانت قد وضعت ..

برناردا : ولكن الرجال خرجوا قبل ذلك بزمن ..

أديلا : [ فى لهجة أشبه بالتعريض ] — نعم ، غير أنه بقيت جماعة منهم فى خارج البوابة .

برناردا : [ فى غضب ؛ تنادى ] — أنجوستياس !

أنجوستياس : [ داخلة ] . هأنذا يا أماه : ماذا تريدين ؟ .

برناردا : ماذا كنت تنظرين ؟ وإلى من ؟

أنجوستياس : لا أحد .

برناردا : أترين من العفة والشرف أن تجرى امرأة وراء رجل لتلقى عليه شراكها فى يوم الصلاة على جنازة أبيها ؟ أجيبى ! : : إلى من كنت تنظرين ؟ [ لحظة صمت ] .

أنجوستياس : أنا ؟

برناردا : نعم . . أنت .

أنجوستياس : لا أحد !

برناردا : [ تتقدم وتضربها فى عنف ] يا لعوب . : : يا مائعة ! . .

لابونثيا : [ تجرى لتحجز بينهما ] رفقا.. رفقا يابرناردا.

[ تحجز برناردا عن ابنتها بينما تنتحب هذه بشدة ]

برناردا : اخرجن من هنا جميعاً !

لابونثيا : خفف عنك يا برناردا . . لقد فعلت ما فعلت وهى لا تدرك مدى ما فى ذلك من سوء . . والحقيقة أنه صدمتنى هروالتها إلى الفناء ، ثم رأيتها من وراء إحدى النوافذ تتسمع ما كان يدور بين الرجال من حديث ، وهو حديث ما كان لها أن تنصب أذنيها له .

برناردا : ألهذا يأتون إلى العزاء ؟ [ ثم تستطرد فى فضول ] وعم كانوا يتحدثون ؟

لابونثيا : عن « باكا ذات الوشم » فقد وثب بعضهم بالأمس على زوجها فقيدوه وربطوه إلى مذود ، ثم حملوها على ظهر حصان إلى أشجار الزيتون فى أعلى الربوة . .

برناردا : وهى . . ماذا فعلت ؟

لابونثيا : هى ؟ لقد كانت فى غاية الرضا والوداعة ، ويقولون إنها مضت معهم عارية الصدر وإن « ماكسيميليانو » كان يضعها على حجره كما لو كان يعزف على قيثارة . . شىء فظيع !

برناردا : ثم ماذا حدث ؟

لابونثيا : الذى كان ينبغى أن يحدث . . ثم عادوا جميعاً قبل مغيب الشمس ، وأما « باكا ذات الوشم » فقد أقبلت تتهادى وهى مشعثة الشعر وعلى رأسها تاج من الزهور ! . .

برناردا : إنها العاهر الوحيدة فى هذا البلد .

لابونثيا : وما ذلك إلا لأنها غريبة عنا ، فقد أتت من قرية بعيدة جدا ، وأما الذين حملوها إلى هناك فإن آباءهم أيضاً غرباء عن هذا البلد ، فلست أظن الرجال هنا يجرؤون على ارتكاب مثل ذلك ! . .

برناردا : لا . . هم لا يجرؤون على فعله ، ولكنهم يتلذذون برؤيته والتعليق عليه ، وكأنى بهم يلعقون أصابعهم وراء وقوعه والتحدث به .

لابونثيا : وليس ذلك فقط ، فقد كانوا يتحدثون عن أشياء أكثر من ذلك وأسوأ . .

برناردا : [ تتلفت حواليها فى قلق وخوف ] — وماهى ؟

لابونثيا : إننى أستحى من تكرارها . .

برناردا : واستمعت ابنتى إلى كل ذلك ؟

لابونثيا : بلا شك ! . .

برناردا : اللعينة . . لقد شابهت فى ذلك عماتها اللاتى كن يتهادين فى ثيابهن البيض فى خيلاء وكبر ، فإذا سمعن عبارة غزل يفوه بها حلاق بائس أقبلن ينظرن فى رضا وسرور كأنهن شياه طيعة . . آه . . ما أكثر ما تقاسيه الأم حتى تحافظ بناتها على شرفهن وحتى لا يهوين إلى الحضيض ! . .

لابونثيا : نعم ... إن بناتك قد بلغن العمر الذى يخشى منه عليهن ، فكلهن يحتجن إلى الزواج ، ولك أن تحمدى الله على أنهن لا يتسببن لك فى كثير من المتاعب . . إن سن أنجوستياس قد أصبحت تتجاوز الآن الثلاثين بكثير . . أليس كذلك ؟

برناردا : تسع وثلاثون سنة كاملة . .

لابونثيا : تصورى . . ولم يخطبها أحد حتى الآن :

برناردا : [ فى هياج وثورة ] — لم تخطب هى

ولا واحدة من أخواتها حتى الآن . .
ولسن فى حاجة إلى خطيب ، فهن
يستطعن الحياة بلا زوج دون أن يصيبهن
أى شىء . .

لابونشيا : [ فى تلطف ] — لم أقصد بذلك إثارتك
ولا إغضابك .

برناردا : اسمعى . . إنه لا يوجد فى هذا البلد فى
دائرة قطرها مائة ميل أحد جدير بأن
يقترب إلى إحداهن . . إن رجال هذا
البلد ليسوا من طبقتهن ، أم تريدين أن
أسلمهن إلى أى صعلوك ؟

لابونشيا : إذن فاخرجى ببناتك إلى بلد آخر . .

برناردا : نعم . . لكى أبيعهن ! . .

لابونشيا : لم أقصد هذا يا برناردا . . ولكن ليغيرن
جو هذا البلد . . ولو أنهن فى بلد آخر
فربما أصبحن هن الفقيرات ! . .

برناردا : أخرسى لسانك هذا الملعون !

لابونثيا : ألا أستطيع التحدث إليك فى صراحة ؟ أبيننا ثقة متبادلة أم لا ؟

برناردا : ليست هناك ثقة . . وكل ما هناك أنك تخدمين فى بيتى وأنى أدفع لك أجرك . . ولا شىء بعد ذلك .

الخادمة : [ تظهر بالباب ] — لقد قدم السيد أرتورو ، جاء لكى يسوى مسألة توزيع التركة .

برناردا : ها أنا ذاهبة [ ثم متوجهة إلى الخادمة ] وأما أنت فنظفى الفناء [ ثم إلى لابونثيا ] وأنت اذهبى فاحفظى فى الدولاب الكبير ثياب التقيد . .

لابونثيا : هناك أشياء قد يحسن أن نتصدق بها . .

برناردا : لا شىء . . ولا زرار واحد . . ولا حتى المنديل الذى غطينا به وجهه [ تخرج فى بطء وتلتفت أثناء خروجها بنظرات صارمة إلى الخادمتين ، تخرج الخادمتان وتدخل أميليا ومارتيريو ]

أميليا : هل تناولت الدواء ؟

مارتيريو : كما لو كان يفيدنى بشىء !

أميليا : ولكنك تناوليه على ما أرى .

مارتيريو : إنى أفعل ما أومر بفعله دون إيمان ولا اقتناع ، ولكنى مع ذلك مواظبة كالساعة التى تدور دون أن تدرى ما تفعل .

أميليا : غير أنى أراك قد تحسنت كثيرا منذ أن قدم الطبيب الجديد .

مارتيريو : أنا لا أشعر بأنى أحسن مما كنت .

أميليا : هل لاحظت أن أديلايدا لم تكن حاضرة أثناء العزاء ؟

مارتيريو : نعم ، كنت أعرف ذلك ، وأعرف أن خطيبها هو الذى يمنعها حتى من الإطلال على الشارع ، لقد كانت من قبل مرحة ضحوكا ، وهى اليوم ممتنعة حتى عن طلاء وجهها بالمساحيق .

أميليا : لم تعد الواحدة منا تعرف اليوم ما إذا كان من الخير لها أن يكون لها خطيب أم لا . .

مارتيريو : لا أظن هناك فرقا بين الأمرين .

أميليا : الذنب ذنب ألسنة السوء التي لا تزال تحول بنقدها بيننا وبين تذوق طعم الحياة . مسكينة أديلايدا ، أظنها قاست من ذلك الكثير .

مارتيريو : إنها تشعر بأشد الخوف من أمنا ، فهي الوحيدة التي تعرف قصة أبي أديلايدا ومصدر أراضيه ، ولهذا فإن أمنا لا تكاد تراها حتى تنهال عليها خناجر تعريضها اللاذع . أما هذه القصة فيقال إن أبا أديلايدا كان قد قتل في حرب كوبا زوج امرأته الأولى حتى يخلفه عليها ، فلما تحقق له ذلك وتزوج من تلك المرأة لم يلبث أن تركها ، وتعلق بأخرى

كانت لها ابنة ، ثم هجر تلك أيضاً إلى فتاة أخرى هى أم أديلايدا ، وتزوج منها بعد أن أدى بامرأته الثانية إلى الجنون .

أميليا : وهذا الوغد كيف ترك طليقاً وكان أنسب مكان له هو قاع السجن ؟

مارتيريو : إن الرجال يستر بعضهم جرائم البعض ولا سيما إذا كانت متعلقة بأمثال هذه الأشياء ، ولا يجرؤ أحد عندئذ أن يبوح بسر من أسرارها .

أميليا : ولكن أديلايدا ليست ذات ذنب فى جرائم أبيها . . .

مارتيريو : لا . . ولكن الأحداث تتكرر ، ولست أرى فى كل ما يقع إلا تكراراً رهيباً ، وأديلايدا ليست بدعا فى ذلك فإنها قد ورثت خطيئة أمها وجدتها اللتين انحدرت هى من سلالتهما . .

أميليا : أمر شنيع ! . .

مارتيريو : إنه خير للمرأة ألا تنظر إلى رجل قط ، وإنى لأذكر أننى منذ طفولتى لم أكن أنظر إلى الرجال إلا فى كراهية وخوف ، ولقد كنت أراهم فى الحظيرة وهم يربطون الثيران أو يحملون أكياس القمح وكان وقع أقدامهم الغليظة وجلبتهم تتردد فى أذنى ، فأشعر بالخوف من اليوم الذى أتمو فيه خشية أن أرى نفسى بين ذراعى أحدهم ، ولهذا فإنى أحمد الله على أنه خلقنى ضعيفة الجسم قبيحة الصورة حتى يصرفهم عنى إلى الأبد .

أميليا : لا تقولى ذلك بحق الله ! ألا تذكرين أن « إنريكى أوماناس » كان معجبا بك حتى إنه أخفى قدميه وراءك ؟

مارتيريو : أكاذيب لفقتها ألسنة الناس . الذى

أذكره هو أننى تجردت يوما من ملابسى
وبقيت فى قميص من وراء نافذتى
ليلة كاملة حتى طلع الفجر وأنا فى
انتظاره بعد أن أرسل إلىّ مع ابنة خادمه
أنه سيأتى ، ولكنه لم يجىء . . لم يكن
كل ذلك إلا كلاماً اخترعته ألسنة الناس :
ثم مالبث أن تزوج من أخرى كان لديها
من المال أكثر مما لدىّ .

أميليا : . . . ودميمة كأنها شيطان !

مارتيريو : وماذا يهم الرجال من القبح والدمامة
فى النساء ؟ إن كل ما يريدون هو ما يملكن
من أرض وماشية . . ثم كلبة أليفة
تقدم لهم الطعام !

أميليا : [ متنهدة ] آه ! . : [ تدخل ماجدالينا ] :

ماجدالينا : ماذا تفعلان ؟

مارتيريو : هنا : .

أميليا : وأنت ؟

ماجداليا : لقد كنت أتجول فى غرفة البيت . . .
شىء لقطع الوقت وتسريح الرجلين . .
وقد كنت أتأمل بعض أثاث جدتنا
وملابس زفافها ، وذلك الكلب الصغير
المصنوع من الصوف وتمثال الزنجى
الذى يصارع الأسد ، أشياء طالما كانت
تعجبنا وتدخل إلى قلوبنا السرور فى أيام
الطفولة . . تلك الأيام السعيدة المرحة ،
حينما كانت الأعراس تستمر عشرة أيام
وحينما كانت ألسنة الناس أقل فتكا
وحدة . . أما الآن فإن العرائس يضعن
على رءوسهن الطرح البيض الشفافة
كما يفعلن فى المدن ، والمدعوون
يفرغون فى أجوافهم زجاجات النبيذ ،

هذا بينما يلوكوننا بألسنة تدعنا حطاماً متهالكا عفنا . .

مارتيريو : ويعلم الله بعد ذلك ما الذى يحدث !

أميليا : [ متوجة إلى ماجداليا ] لقد انفك رباط حذائك .

ماجداليا : وماذا بهم ؟

أميليا : قد تطئينه فتسقطين على وجهك !

ماجداليا : لتقع واحدة فهى لن تنقص من عدد النساء . .

مارتيريو : وأديلا ؟ أين هى ؟

ماجداليا : آه . . لقد لبست ثوبها الأخضر الذى جلت به يوم عيد ميلادها ، وذهبت إلى الحظيرة تنادى بأعلى صوتها « أقبلن أيتها الدجاجات . . أقبلن فانظرن إلىّ » ، إننى لم أتمالك نفسى عندئذ من الضحك !

أميليا : لو أن أمى رأتها !

ماجدالينا : مسكينة ! إنها أكثرنا شبابا والأمل يملأ صـــدرها ، وإنى لأتمنى أن أضحى بأى شىء فى سبيل أن أراها سعيدة . .

[ لحظة صمت ، ثم تدخل أنجوستياس وفى يديها علة مناشف ]

أنجوستياس : كم الساعة الآن ؟

ماجدالينا : أظنها قريبة من الثانية عشرة :

أنجوستياس : أبلغت ذلك ؟

أميليا : إن لم تكون الثانية عشرة فهى توشك أن تكون . [ تخرج أنجوستياس ]

ماجدالينا : [ فى لهجة ذات مغزى ] — ألا تعرفان الخبر ؟

أميليا : لا .

ماجدالينا : لا تتظاهرا بالجهل !

مارتيريو : لست أدرى عم تتحدثين :

ماجدالينا : أنتما تعرفانه خيراً مما أعرف إنهما دائما

رأسا إلى رأس كما لوكانا شاتين متآلفتين ؛
فإذا افترقا لم يبح أحد منهما بسره . إنما
أعنى « بيبى إل رومانو » !

مارتيريو : آه !

ماجداليا : [ مقلدة أختها ] — آه ! إن الأمر أصبح
محل تعليق أهـــل البلد جميعا . بيبى
إل رومانو يوشك على خطبة أنجوستياس :
وقد قضى ليلة أمس دائراً حول منزلنا
وأظن أنه لن يمضى وقت طويل حتى
يبعث رسولا للتحدث فى الموضوع .

مارتيريو : إننى لسعيدة لذلك . فالفتى طيب لابأس به.

أميليا : وأنا كذلك ، فإن أنجوستياس صالحة له .

ماجداليا : لا تكذبا ، فإنى أعرف أنكما لا تشعران
بأى سرور لذلك .

مارتيريو : ماجداليا ، كيف تقولين ذلك ؟

ماجداليا : لو أن إل رومانو قدم لرغبته فى أنجوستياس أو لنظرته إليها كما ينظر إلى امرأة يحبها لشعرت أنا كذلك بالفرحة ، ولكننا نعرف أنه لن يأتى إلا طمعا فى ثروتها . إن أنجوستياس أختنا وواحدة من أفراد أسرتنا ولكن هذا لا يمنع أن نعترف بالحقيقة ، وهى أنها عجوز كثيرة المرض ، وقد كانت دائما أقلنا صلاحية للزواج : : . فقد كانت — وهى فى سن العشرين — تبدو كأنها عصا خلعوا عليها زى النساء ، فكيف بها الآن وهى فى الأربعين !

مارتيريو : لا تقولى ذلك ، فربما أتت المفاجأة السعيدة إلى أقل الناس انتظاراً لها !

أميليا : على أية حال هى تقول الحقيقة ؛ فإن

أنجوستياس لديها الآن كل مال أبيها ، وهى الغنية الوحيدة بيننا ، وقد كان موت أبينا وتوزيع تركته التى ظفرت منها أنجوستياس بنصيب الأسد هو الذى جعل الأنظار تتهافت إليها ، ولا شيء غير ذلك :

ماجداليا : إن بيبى إل رومانو فى الخامسة والعشرين ، وهو أحسن شباب هذا البلد وما يحيط به ، وقد كان المنطقى أن يخطبك أنتِ يا أميليا أو يخطب أختنا أديلا التى لا تجاوز العشرين . ولكن الغريب الذى يدعو للتساؤل هو أن يأتى فى طلب أسوأ ما فى هذه العائلة . . وأن يخطب امرأة لا تستطيع الحديث إلا من أنفها كما كان أبوها من قبل .

مارتيريو : ولكن ألا يجوز أن تكون قد أعجبته ؟

ماجدالينا : لم أتمكن أبداً من ابتلاع النفاق الذى يطل دائما من كل كلمة تنطقين بها !

مارتيو : سامحنا الله جميعا . [ تدخل أديلا ]

ماجدالينا : هل رأتك الدجاجات ؟

أديلا : وما كنتن تُرِدْنني أن أفعل ؟

أميليا : لو أن أمنا رأتك لجرتك من شعرك حتى هنا !

أديلا : لقد كنت شديدة الفرح والإعجاب بثوبى الجديد . وكنت أريد أن ألبسه فى اليوم الذى اعتدنا فيه الخروج لأكل البطيخ فى المزرعة . ولست أظن فى ثيابى أجمل منه .

مارتيريو : حقيقة هو ثوب رائع .

أديلا : وقد جاء مناسبا لى تماماً إنه خير ما خاطته ماجدالينا .

ماجدالينا : والدجاج . . . ماذا كان رأيها ؟

أديلا : كل ما فعلته هو أنها أهدت إليّ بعض البراغيث ما زالت تنهش لحم ساقيّ [ يضحكن ] .

مارتيريو : لم يبق أمامك إلا أن تصبغيه بالسواد .

ماجدالينا : أو أن تهديه إلى أنجوستياس بمناسبة زفافها إلى « بيبي إل رومانو » .

أديلا : [ فى انفعال تحاول كتمانه ] — ولكن . . . بيبي إل رومانو . . . ؟

أميليا : نعم . . ألم تسعى بالخبر ؟

أديلا : لا .

ماجدالينا : إذن قد عرفته الآن . .

أديلا : ولكن . . هذا مستحيل .

ماجدالينا : . . بل ممكن جداً . . إن المال يذلل المستحيلات .

أديلا : ألهذا إذن خرج فى آخر المعزين وبقى لحظات ينظر من خلال البوابة ؟ [ لحظة صمت ] ولكن أترين هذا الرجل قادراً على . . .

ماجدالينا : [ تقاطعها ] — إنه قادر على كل شىء [ لحظة صمت ]

مارتيريو : فيم تفكرين يا أديلا ؟

أديلا : أفكر فى أن هذا الحداد قد نزل علىّ فى أسوأ لحظات حياتى .

ماجدالينا : [ فى مرارة ] — سوف تتعودين على ذلك . . .

أديلا : [ فى ثورة وهى تنخرط فى بكاء شديد ] — لا . . . لن أتعود . . لن أظل حبيسة فى هذا البيت ، لست أريد أن يذبل جسدى هنا كما ذبلت أجسادكن لست أريد أن تفقد بشرتى بياضها فى ظلام

هذه الغرف . غداً سوف أرتدى ثوبى
الأخضر وأنزل لمنزهة فى الشارع . . .
أنا أريد الخروج !

[ تدخل الخادمة ]

ماجدالينا : [ فى لهجة الآمر ] — أديلا .

الخادمة : مسكينة ، كم هى حزينة على موت
أبيها . . . [ تخرج ]

مارتيريو : اسكتى .

أميليا : كل ما تفعله واحدة منا فهو من حق
الجميع . [ أديلا تتمالك نفسها ]

ماجدالينا : لقد أوشكت الخادمة على أن تسمع
ما تحدثت به [ تظهر الخادمة مرة أخرى ]

الخادمة : « بيبى إل رومانو » آت إلى هنا ، وقد
رأيته على رأس الشارع .

[ تجرى أميليا ومارتيريو وماجدالينا بسرعة ] .

ماجدالينا : هيا بنا لرؤيته ! [ يخرجن مهرولات ] :

الخادمة : [ متوجهة إلى أديلا ] — وأنت ألا تذهبين ؟

أديلا : الأمر لا يهمنى !

الخادمة : إنه فى طريقه سيدور حول ناصية الشارع ، ولهذا فإنى أظن أن خير مكان لرؤيته هو نافذة غرفتك [ تخرج ]

[ أديلا تبقى وحدها فى المسرح مترددة ، ولكنها بعد لحظات تقرر الخروج كذلك بسرعة إلى غرفتها . تظهر برناردا ولابونشيا ] .

برناردا : لعن الله التركات وتوزيعها !

لابونشيا : لقد خص أنجوستياس فى التقسيم أكبر نصيب !

برناردا : نعم

لابونشيا : أما الباقيات فنصيبهن أقل بكثير .

برناردا : [ فى حدة ] — لقد كررت علىّ ذلك ثلاث مرات ، ولم أشأ أن أرد عليك . أقل بكثير . . بكثير جدا . . أعرف ذلك ولا أريد أن تذكرينى به مرة

أخرى . . أفهمت ؟ [ تظهر أنجوستياس وهى فى أبهى زينتها ] .

برناردا : [ فى دهشة واستنكار ] — أنجوستياس !

أنجوستياس : نعم . . يا أمى .

برناردا : ولكن . . هل جرؤت على صبغ وجهك بالمساحيق ، وهل غسلت وجهك فى يوم جنازة أبيك ؟

أنجوستياس : أظنك نسيت أنه ليس أبى ، فقد مات أبى منذ سنوات ، ألا تذكرين ؟

برناردا : إنك تدينين لهذا الرجل ، والد أخواتك ، بأكثر مما تدينين به لأبيك ، فبفضله أصبحت الآن أغنى أفراد الأسرة .

أنجوستياس : هذا أمر أريد أولا التحقق منه .

برناردا : إذا لم يكن للحشمة لديك مكان ، فلا أقل من احترام مظاهر الحداد .

أنجوستياس : دعينى أخرج يا أمى .

برناردا : تريدين أن تخرجى ؟ ولكن بعد أن

تزيلى هذه الأصباغ التى لطخت بها وجهك . . يا مائعة . . يا لعوب . . يا سلالة عمائك ! [ تهجم عليها وتزيل الأصباغ عن وجهها بمنديل فى عنف وشدة ] . . والآن اخرجى إذا شئت .

لابونثيا : لا تكونى قاسية معها هكذا .

برناردا : إذا كانت أمى مجنونة فإنى مازلت فى كامل قواى العقلية وما زلت أتمتع بحواسى الخمس . . وأنا أعرف ما يجب علىّ أن أفعل [ تدخل البنات جميعا ] .

ماجداليا : ماذا جرى ؟

برناردا : لم يجر شىء !

ماجداليا : [ متوجهة إلى أنجوستياس ] إذا كنتن تتحدثن عن توزيع التركة فلاشك أنك مسرورة لأنك أصبحت أغنى هذه الأسرة فقد خصك معظم الثروة .

أنجوستياس : احفظى لسانك هذا فى جحر .

برناردا : [ تدق الأرض بقدمها فى شدة ] — لا تعتقد واحدة منكن أنها ستقدر علىّ ، فسأظل أنا المتصرفة فى مالى وفى مالكن إلى أن أخرج من هذا البيت محمولة على نعش !

[ تسمع أصوات فى الخارج ، ثم تفتحم المسرح ماريا خوسيفا أم برناردا العجوز وقد زينت صدرها ورأسها ببعض الزهور ]

ماريا خوسيفا : برناردا ، أين شالى وطرحتى ؟ إنى لا أريد أن تستولى إحداكن على شىء مما أملك . . لا خواتمى ولا ثوبى الأسود الحريرى المتموج . فإنه لن يتزوج واحدة منكن . . ولا واحـــدة ! برناردا ، أعطينى عقدى اللؤلؤى . .

برناردا : [ إلى الخادمة ] — كيف تركتيها تخرج ؟

الخادمة : [ مرتجفة ] لقد هربت من يدى !

ماريا خوسيفا : نعم . . لقد هربت لأنى أريد أن أتزوج .

أريد أن أتزوج من فتى جميل يأتى من ساحل البحر ، مادام الرجال فى هذا البلد المشئوم يهربون من النساء .

برناردا : كفى عن هذا اللغو يا أمى .

ماريا خوسيفا : لا . . لن أكف . . لست أريد أن أبقى هنا لأرى هؤلاء النسوة العوانس يتحرقن إلى الزواج وتستحيل قلوبهن إلى رماد . إنى أريد أن أعود إلى قريتى . برناردا ، أريد أن أتزوج من شاب جميل يعيد إلى قلبى السرور !

برناردا : [ تصيح ] — احملنها إلى غرفتها وأغلقن دونها الأبواب !

ماريا خوسيفا : دعينى أخرج يا برناردا [ تتقدم الخادمة فتحيطها بذراعيها بقوة ]

برناردا : ساعدنها جميعا . [ الخادمة والبنات يخرجن بها جرا ] .

ماريا خوسيفا : [ تصيح وهن يجرونها بعنف ] — أريد أن أذهب من هنا يا برنا، دا أريد أن أتزوج من فتى جميل يأتى من ساحل البحر : من ساحل البحر . .

[ الستار ينزل بسرعة ]

[ حجرة بيضاء الجدران فى منزل برناردا ألبا ، الأبواب التى إلى اليسار تؤدى إلى غرف النوم . بنات برناردا كلهن مجتمعات فى الحجرة ، ويرين جالسات على كراسى منخفضة يخطن أثوابا فى أيديهن بينما تقوم ماجدالينا بزخرفة الثياب ، وإلى جانبها لابونثيا ] .

أنجوستياس : قد انتهيت من قطع الملاءة الثالثة .

مارتيريو : إن دور هذه الملاءة على أميليا .

ماجدالينا : أنجوستياس ، هل أضع عليها أول حرف من اسم « بيبى » ؟

أنجوستياس : [ بجفاف ] لا ؟

ماجدالينا : [ فى صوت مرتفع ] أديلا ، ألا تأتين ؟

أميليا : لعلها الآن مستلقية فى سريرها .

لابونثيا : هذه البنت لا تبدو فى حالتها الطبيعية ، فإنى أراها قلقة ترتجف فى خوف وفزع كأنما يضطرب فى صدرها ثعبان . .

مارتيريو : لا أظن أن ما لديها يزيد ولا ينقص عما لدينا جميعاً .

ماجدالينا : نعم ، نحن جميعا ما عدا أنجوستياس . .

أنجوستياس : أنا بخير والحمد لله ، ومن كان يؤلمه ذلك فليمت بغيظه .

ماجدالينا : [ فى سخرية ] ليس هناك شك فى أن خير ما تمتازين به هو الذوق والرقة .

أنجوستياس : الذى أحمد الله عليه هو أننى سأخرج قريباً من هذا الجحيم .

ماجدالينا : ومن يدرى ؟ فلعلك لا تخرجين !

مارتيربو : ألا تتركين هذا الجدال السخيف ؟

أنجوستياس : وشيء آخر : فلتعرفن أن خردلة ذهب فى صندوقك خير من جمال العيون السود !

ماجداليا : كلام يدخل فى أذنى اليمنى ويخرج من اليسرى .

أميليا : [ متوجهة إلى لابونتيا ] افتحى باب الفناء لعل نسمة باردة تلطف حدة هذا الحر .

[ لابونتيا تفتح الباب ] .

مارتيربو : إننى لم أستطع النوم ليلة أمس بسبب شدة الحرارة .

أميليا : ولا أنا كذلك .

ماجداليا : لقد نهضت من فراشى لأتلمس نسمة هواء بارد ، ورأيت السماء وقد انعقدت فيها غيوم سوداء كثيفة كانت تنذر بعاصفة ، بل أذكر أن قطرات من المطر بدأت تتساقط بالفعل .

لابونثيا : كانت الساعة قد بلغت الواحدة بعد منتصف الليل ؛ ومع ذلك كنت أحس كأن ناراً تنبعث من جوف الأرض . وكانت أنجوستياس ما زالت تتحدث من خلال النافذة إلى بيبي .

ماجداليا : [ فى نبرة ساخرة ] — حتى تلك الساعة ؟ ومتى ذهب إذن ؟

أنجوستياس : ماجداليا ، لقد رأيته وهو ذاهب ، فما سبب هذا السؤال ؟

أميليا : فى نحو الواحدة والنصف .

أنجوستياس : حقاً ؟ وأنت كيف عرفت ذلك ؟

أميليا : سمعت سعاله ووقع خطوات بغلته .

لابونثيا : ولكنى أحسست بذهابه فى حـــدود الساعة الرابعة .

أنجوستياس : ربما لم يكن هو .

لابونثيا : ولكنى متأكدة .

أميليا : وأنا كذلك أظنه هو .

ماجداليا : شيء غريب ! [ لحظة صمت ]

لابونثيا : اسمعى يا أنجوستياس . خبرينى : ما الذى قاله لك فى أول مرة تحدث فيها إليك من خلال قضبان النافذة ؟

أنجوستياس : لا شيء . . . وكيف أذكر ما قال ؟ . . أشياء مما يعرض فى الحديث .

مارتيريو : الحقيقة أنه من الغريب أن يجتمع شخصان لا يكاد أحدهما يعرف الآخر ، فإذا بهما فجأة يلتقيان حول نافذة ويصبحان خطيبين .

أنجوستياس : بالنسبة إلىّ ليس فى الأمر غرابة .

أميليا : وأما أنا فإنه يحدث فى نفسى شعوراً لست أدرى كيف أصفه .

أنجوستياس : إن الرجل حينما يقترب من نافذة امرأة لكى يتحدث إليها فإنه يعرف مقدما أنها ستقبل عرضه عليها بأن تتزوج منه .

مارتيريو : ولكنه ينبغى أن يكون قد عرض ذلك عليك فى صراحة !

أنجوستياس : بغير شك .

أميليا : [ فى فضول ] — وكيف فاتحك فى ذلك ؟

أنجوستياس : لا شىء ، قال لى : « أنت تعلمين أننى أتردد عليك رغبة فيك ، وإنى أحتاج إلى امرأة طيبة مهذبة ، وأنت المرأة التى أنشدها لو لقى ذلك منك القبول » .

أميليا : مثل هذه الأشياء تخجلنى .

أنجوستياس : ولقد أخجلتنى أنا أيضا ، ولكن لا مفر منها .

لابونثيا : ولم يقل أكثر من ذلك ؟

أنجوستياس : نعم . . كان هو الذى يتحدث دائما .

مارتيريو : وأنت ؟

أنجوستياس : لم أكن أستطيع حتى ولو أردت ، فقد كاد قلبى يقفز إلى فمى من رهبة الموقف . فقد كانت أول مرة أتحدث فيها ليلا بمفردى إلى رجل .

ماجدالينا : . . . وإلى رجل وسيم الطلعة : :

أنجوستياس : لا بأس به .

لابونثيا : مثل هذا يحدث بين أشخاص لم نصيب من الثقافة يعرفون كيف يتحدثون ويلوحون بأيديهم . أما نحن فأمرنا يختلف عن ذلك ، وأنا أذكر أن زوجى « إيڤارستو الأزعر » حينما أتى إلى نافذتى لأول مرة . . ها . . ها : . ها .

أميليا : وماذا حدث ؟

لابونثيا : تقدم إلى نافذتى فى الظلام . . فلما وصل إلى حيث كنت توقف قليلا ثم قال : مساء الخير . ورددت عليه : أسعد الله مساءك ! وبقينا صامتين نحو نصف ساعة لم نتبادل فيها حرفا . كنت أحس بأن العرق يتصبب من جسمى كله ، ثم دنا منى حتى كاد ينفذ من خلال قضبان النافذة ، ولم يفتح عليه الله بعد

ذلك إلا بقوله فى صوت خفيض : اقتربى ودعينى أتحسس جسدك ! [ يضحكن جميعا ]

[ تقف أميليا ثم تجرى إلى الباب متسمعة ]

أميليا : آه . . كنت أحس أن أمى قادمة .

ماجداليتا : ترى ما كانت تفعل بنا لو أنها رأتنا وسمعتنا !

[ يواصلن الضحك ] .

أميليا : هس . . وإلا فإنها ستسمع ما نقول .

لابونثيا : [ تستمر فى حديثها ] — غير أنه استقام بعد ذلك . هذا وعليكن أن تعرفن — وأنتن بعد لم تتزوجن — كيف يسلك الرجل بعد الزواج . إنه بعد خمسة عشر يوما من الزفاف لا يلبث أن يترك السرير إلى مائدة الطعام . ثم يترك مائدة الطعام إلى المقهى مع أصدقائه ، ومن لم يعجبها ذلك فلتختر لها فى البيت ركنا تسكب فيه عبراتها .

أميليا : وهل رضيت أنت بذلك ؟

لابونثيا : لا ، لأنى عرفت كيف أحكم قياده .

مارتيريو : هل صحيح ما يقال من أنك ضربته عدة مرات ؟

لابونثيا : نعم ، بل كدت مرة أن أتركه أعور .

ماجداليا : هكذا ينبغى أن تكون النساء .

لابونثيا : لقد اتبعت فى ذلك ما لقنته لى أمى ، وأنا أذكر أنه قال لى يوما شيئا أغضبنى ، فنهضت إليه بيد « المدق » نهوضا أطار من وجهه كل الألوان . [ يضحكن ].

ماجداليا : [ تنادى ] — أديلا ، تعالى وإلا فاتك ما تتحدث به لابونثيا .

أميليا : [ تنادى مرة أخرى ] — أديلا . [ لحظة صمت ]

ماجداليا : [ تنهض ] — سأذهب لأرى ما بها .

لابونثيا : هذه البنت تبدو مريضة .

مارتيريو : طبعا ، إنها لا تكاد تنام .

لابونثيا : ماذا تفعل إذن ؟

مارتيريو : وما أدرانى أنا ؟

لابونثيا : أنت أعرف بأمرها منى على الأقل ؛ فهى تنام فى الغرفة المجاورة لغرفتك .

أنجوستياس : إن الحسد يأكل جسدها .

أميليا : لا تبالغى .

أنجوستياس : أنا أرى ذلك فى عينيها . فقد أصبحت نظراتها زائغة تنذر بالجنون .

مارتيريو : لا تتحدثن هنا عن الجنون . فإن هذا البيت هو المكان الوحيد الذى لا يمكن فيه التفوه بهذه الكلمة . [ تخرج ماجداليتا من أحد الأبواب إلى المسرح ومعها أديلا ] .

ماجداليتا : لم تكونى نائمة إذن ؟

أديلا : أشعر بكثير من الإجهاد .

مارتيريو : [ فى لهجة ذات مغزى ] ألم تنامى جيداً فى الليلة الماضية ؟

أديلا : نعم ، نمت كالمعتاد .

مارتيريو : إذن ؟

أديلا : [ فى عنف ] لماذا لا تدعيننى وشأنى ؟

وسواء نمت أم أرقت فهذا لا يدعوك
إلى حشر نفسك فى أمورى الخاصة ،
أنا حرة فى جسدى أصنع به ما أشاء .

مارتيريو : كل ما هناك أننى مهتمة بك .

أديلا : اهتمام أم استجواب ؟ ألم تكن تعملن
بأيديكن ؟ واصلن عملكن إذن . لشد
ما وددت أن أكون خافية عن الأنظار
أخترق الجدران كالأشباح دون أن
أتعرض لقذائف أسئلتكن : ممن أين
جئت ؟ وإلى أين تذهبين ؟

الخادمة : [ تدخل ] أمكن تناديكن ، فقد حضر
الرجل المكلف بالتطريز [ يخرجن ،
وترمق مارتيريو أختها أديلا بنظرة فاحصة ] .

أديلا : لا تنظرى إلىّ هكذا ! إذا شئت فإنى
مستعدة أن أعطيك عينىّ بدلا من عينيك
الذابلتين وأن أترك لك ظهرى لتقومى
به ظهرك الأحدب وكتفيك المقوستين ،

ولكنى أطلب إليك أن تديرى وجهك عنى حيثما مررت . [ تخرج مارتيريو ] .

لابونثيا : لا تقولى ذلك ، إنها أختك ثم إنها أكثر أخواتك حبا لك .

أديلا : [ ثائرة ] إنها تتعقب خطواتى أينما ذهبت ، وهى تتلصص علىّ فى غرفتى لترى ما إذا كنت نائمة أم لا . . إنها لا تكاد تدعنى أتنفس ولا تكف عن التوجع لى قائلة : « مسكين هذا الوجه . . مسكين هذا الجسم الذى لن يتمتع به رجل » ، ولكن لتعلم أنها مخطئة فإنى سأهب جسمى إلى من أريد !

لابونثيا : [ بصوت خفيض ولهجة لها مغزاها ] ، لبيبى إل رومانو ؟ أليس كذلك ؟

أديلا : [ فى ذعر مفاجئ ] ماذا تقولين ؟

لابونثيا : الذى قلته يا أديلا .

أديلا : اخرسى !

لابونثيا : [ بصوت مرتفع ] أتعتقدين أنى لم أتنبه إلى ما يحدث ؟

أديلا : خفضى صوتك . . أرجوك .

لابونثيا : . . اقتلى هذه الأفكار السوداء التى تدور برأسك .

أديلا : وما الذى تعرفينه أنت ؟

لابونثيا : إن العجائز من أمثالى يرين من خلال

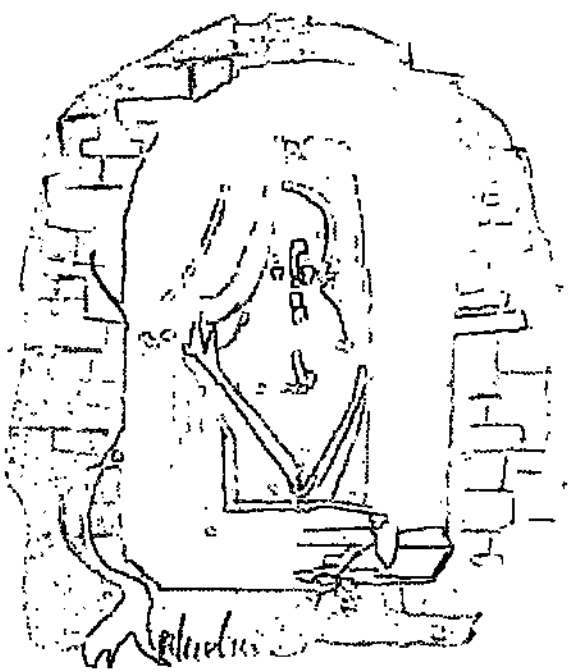

الجدران . أين تذهبين أنت حينما تتركين فراشك فى ظلام الليل ؟

أديلا : ألا أعمى الله عينيك .

لابونثيا : لو كنت عمياء لجعل الله لى مئات من الأبصار فى رأسى وفى يدىّ مادام الأمر قد وصل إلى ما وصل إليه . . ولست أدرى مهما أطلت التفكير فيما تفعلين ما الذى تسعين إليه . . خبرينى بالله لماذا وقفت شبه عارية وغرفتك مضاءة للنور مفتوحة النوافذ حينما مر من تحتها « بيبى » ثانى يوم جاء فيه للتحدث مع أختك ؟

أديلا : أنت كاذبة . .

لابونثيا : لاتتصرفى تصرف الأطفال الصغار . . وأنا أقولها لك مرة أخرى : اتركى أختك فى سلام ، وإذا كان « بيبى

إل رومانو » يعجبك فلتتحملى قليلا ! . .

[ أديلا تشرع فى البكاء ] ثم إنه من الذى يقول إنك لا تستطيعين الزواج منه ؟ إن أختك أنجوستياس مريضة ضعيفة البنية ولست أظنها تحتمل الوضع لأول مرة فهى ضيقة الحوض متقدمة فى السن ، وأنا أعرف من تجاربى أن موتها قريب . وحينئذ سيفعل بيبى ما يفعله كل الأرامل فى هذا البلد : وهو الزواج من أجمل فتيات العائلة وأصغرها سنا ، وليس فى هذه الأسرة أصغر ولا أجمل منك . . فعيشى إذا شئت بهذا الأمل ، وانسى هذا الرجل الآن . . انسيه أو افعلى ما شئت ، ولكن لا تعترضى شريعة الله ! . .

أديلا : اسكتى . . ؛

لابونثيا : لن أسكت !

أديلا : دعى ما لا يعنيك من أمرى واهتمى بشئونك أيتها اللئيمة المتطفلة ! ..

لابونثيا : سأكون ظلك الذى يتبعك أينما كنت .

أديلا : لقد كان أحرى بك أيتها العجوز القذرة أن تنظفى المنزل ثم تأوى إلى فراشك مصلية على أرواح أمواتك بدل أن تتقصّى آثار الرجال والنساء لكى تلوكى سيرهم وتخوضى فى أمورهم . .

لابونثيا : انظرى . . إذا كنت أفعل فإنما لكى لا أرى الناس يبصقون على هذا البيت إذا مروا ببابه .

أديلا : أى حب هذا الذى هبط عليك فجأة نحو أختى ؟

لابونثيا : أنا لا أفرق بين واحدة منكن وأخرى

: وإنما أريد أن أقضى ما بقى لى من أيام عمرى فى بيت شريف . . لست أريد أن أتلطخ بالعار بعد أن بلغت من السن غايته . .

أديلا : إن نصائحك غير ذات جدوى . . ولست أقول إننى سأتخطاك أنت — وما أنت إلا مجرد خادمة — بل سأتخطى أى من أجل إطفاء تلك النار التى تشتعل فى ساقىَّ وشفتىَّ . . فما الذى تستطيعين القول عنى ؟ إننى أغلق علىَّ باب غرفتى ولا أفتح الباب لأحد ؟ إننى لا أنام ؟ إننى أذكى منك وأمكر ! . . . فانظرى إذا كنت تستطيعين أن تقتنصى الأرنب البرى بكفيك !

لابونشيا : لا تتحدينى . . . لاتتحدينى ، فإنى أستطيع

أن أملأ الجو بالصياح ، وأن أشعل الأضواء ، وأدق الأجراس . .

أديلا : هاتى إذن أربعة آلاف صاروخ أصغر وأطلقيها على سقف الحظيرة . . لن تستطيع قوة فى الأرض أن تقف فى وجه ما سوف يحدث . .

لابونثيا : أيعجبك هذا الرجل إلى ذلك الحد ؟

أديلا : إلى هذا الحد . إننى أشعر وأنا ناظرة . . . إلى عينيه أننى أمتص دمه فى بطء .

لابونثيا : لست أسمع ما تقولين .

أديلا : إذن ستسمعينى الآن جيدا . . لقد كنت أشعر بالخوف منك ، ولكنى الآن أقوى منك [ تدخل أنجوستياس ] .

أنجوستياس : ألا تكفان عن الشجار ؟

لابونثيا : وماذا أفعل ؟ وهى تريدنى فى هذا الحر

على أن أخرج لأشترى لها من السوق
لا أدرى ماذا ؟

أنجوستياس : بهذه المناسبة هل اشتريت لى علبة العطر ؟

لابونثيا : أغلى ما وجدت ، وكذلك المساحيق ، وقد وضعت الجميع على مائدة غرفتك

[ تخرج أنجوستياس ]

أديلا : حذار أن تتفوهى بشىء !

لابونثيا : هذا أمر سنراه بعد !

[ تدخل مارتيريو وأميليا وماجداليا ]

ماجداليا : [ مخاطبة أديلا ] — أرأيت تطريز الثياب ؟

أميليا : إن تطريز ملاءات أنجوستياس ليوم زفافها جاء رائعا .

أديلا : [ مخاطبة مارتيريو وهى تحمل فى يديها شرائط تطريز ] وهذه ؟

مارتيريو : إنها لى . . لتزيين أحد قمصانى .

أديلا : [ فى سخرية ] لعلك تمزحين ، فما أظنك تلبسين مثل هذا . .

مارتيريو : [ فى لهجة تنطوى على التعريض والتورية ] . . إنما ألبسه لأرى نفسى به ، فلست محتاجة إلى عرض جسدى على أحد :

لابونثيا : ما من فتاة يراها أحد فى قميصها الداخلى .

مارتيريو : [ ناظرة إلى أديلا فى تعريض ] . . قد يحدث أن يراها بعض الناس . أما أنا فتعجبنى الملابس الداخلية ، ولو كنت غنية لاشتريتها من النسيج الهولندى الرقيق ، فهى بعض ما بقى لى من هواياتى .

لابونثيا : إن هذه الشرائط جميلة « لطواقى » الأطفال أو للفافات التعميد ، وأما أنا فما استطعت أبداً تزيين ثياب أبنائى بها ، فلعل أنجوستياس تتمتع الآن بها فى ثياب أطفالها ، ولو أنه خطر لها أن تنجب كثيراً من الأبناء فلتتجهزن للعمل فى خياطة تلك الشرائط صباح مساء .

ماجدالينا : مهما كان الأمر فإنى لست مستعدة لخياطة شيء .

أميليا : وأما أنا فأزهد فى تربية أبناء غيرى . ألا ترين ما تقاسيه جاراتنا من أجل أربعة أطفال يستثيرون الاشمئزاز .

لابونثيا : هؤلاء الجارات خير منكن : : ويكفيهن أن بيتهن لا يخلو من الضحك أو العراك :

مارتيريو : اذهبي إذن لتخدمى هناك :

لابونثيا : لا ، فقد شاء لى الحظ أن أعيش فى هذا الدير .

[ يسمع صوت أجراس بعيدة كأنما هى قادمة من وراء عدة جدران ]

ماجدالينا : هم الرجال الذين يعملون فى الحقول عائدين بعد الانتهاء من العمل . .

لابونثيا : لقد دقت الساعة الثالثة منذ دقيقة واحدة :

مارتيريو : والشمس مازالت تحرق ظهر الأرض .

أديلا : [ جالسة ] — آه .. لو كنت أستطيع الخروج إلى الحقول !

ماجدالينا : [ جالسة ] .. كل امرئ وما خلق له !

مارتيريو : [ تجلس أيضا ] .. هكذا ينبغى أن يقال !

أميليا : [ تجلس كذلك ] .. آى .

لابونثيا : إن خير وقت للتمتع ببهجة الحقول وعمرانها هى هذه الأيام ، لقد وصل فى صباح الأمس أربعون أو خمسون فتى من خيرة الفتيان .

ماجدالينا : من أين أتوا هذا العام ؟

لابونثيا : من مكان بعيد .. قدموا من الجبال ،وهم مرحون لا تفارق وجوههم الابتسامة ، مفتولو الأجسام كأنهم جذوع شجر لوحتها أشعة الشمس ، لا يكفون عن التصايح والتقاذف بالأحجار . وقد وصلت ليلة الأمس إلى البلد امرأة ترقص على نغمات « أكورديون » وهى مرتديه ثوبا

من الخرز ، فتعاقد معها خمسة عشر فتى منهم لكى يحملوها إلى أشجار الزيتون ، وقد رأيتهم من بعيد ، أما الذى كان يفاوضها فى الأمر فقد كان غلاما ذا عيون خضر مهزولا كأنه حزمة من عيدان القمح اليابسة .

أميليا : أتُرَى ذلك صحيحا ؟

أديلا : ولم لا ؟ إنه أمر ممكن .

لابونثيا : لقد قدمت واحدة من هؤلاء فى إحدى السنوات الماضية ، وقد أعطيت بنفسى لابنى الأكبر نقوداً لكى يذهب معها . . إن الرجال يحتاجون إلى مثل هذا . .

أديلا : كل هذه الأشياء تغتفر للرجال .

أميليا : إن شر عقاب يصيب المرأة هو أنها تولد امرأة .

ماجدالينا : حتى أبصارنا لا نستطيع التصرف فيها كما نشاء .

[ يسمع صوت غناء من بعيد ثم يقترب الصوت ويتضح شيئا فشيئا ] .

لابونشيا : هم هؤلاء .. يترنمون بأغانى غريبة رائعة .

أميليا : لقد خرجوا الآن للحصاد .

أصوات الجوقة : ها قد خرج الحاصدون . .

يبحثون عن سنابل القمح .

وهم يحملون معهم قلوب العذارى .

ممن يتأملنهم فى طريقهم .

[ تسمع أصوات دفوف وطبول مع الغناء ثم ينخفض الصوت ويبتعد ، بينما تسود لحظة صمت تنصت الحاضرات فيها إلى الغناء البعيد ]

أميليا : ولا يبالون بهذا الحر اللافح !

مارتيريو : إنهم يحصدون حتى بين ألسنة اللهيب .

أديلا : ليتنى أستطيع الحصاد ، حتى أذهب وأجىء وأنسى ما يجثم على قلبى من هموم !

مارتيريو : وأى هم تريدين نسيانه ؟

أديلا : كل واحدة منا أعلم بما لديها .

مارتيريو : [ فى صوت عميق ] .. كل واحدة ! . .

لابونشيا : اسكتن . .

أصوات الجوقة : [ من بعيد ] : افتحن الأبواب والنوافذ
أيتها المقيمات فى هذه القرية .
واسمعن نداء الحاصد
وهو يطلب ورودا يزين بها قبعته .

لابونشيا : ما أجمل هذا الغناء !

مارتيريو : [ فى حنين تردد ] : افتحن الأبواب
والنوافذ .
أيتها المقيمات فى هذه القرية . .

أديلا : [ فى انفعال تكمل ] : . . واسمعن نداء
الحاصد .
وهو يطلب ورودا يزين بها قبعته . .
[ يبتعد الصوت حتى يختفى ]

لابونثيا : لقد دارت جماعتهم الآن حول ناصية الشارع .

أديلا : تعالين نراهم من نافذة غرفتى .

لابونثيا : لا تفتحن النوافذ كثيراً فإنى أظنهم قادرين على الوثوب إليها ليروا من ينظر إليهم . [ تذهب ماجداليتا وأديلا ولابونثيا وتبقى أميليا ، وأما مارتيريو فتظل جالسة على كرسى منخفض ورأسها بين يديها ]

أميليا : [ مقتربة من مارتيريو ] ماذا بك ؟

مارتيريو : شدة الحر تهد من قوتى دائما .

أميليا : أهذا كل شىء ؟

مارتيريو : لشدما أتمنى أن يأتى شهر نوفمبر أو موسم المطر أو الصقيع أو أى شىء غير هذا الصيف الذى لانهاية له .

أميليا : سينقضى الصيف ثم يعود مرة أخرى .

مارتيريو : [ فى ضيق ] — نعم . . نعم . . أعرف ذلك [ ثم مغيرة وجهة الحديث بعد فترة صمت ]

فى أى ساعة نمت ليلة الأمس ؟

أميليا : لست أذكر ؛ إننى أنام كأننى جذع شجرة . . لماذا ؟

مارتيريو : لا شىء ، غير أنه بدا لى أنى سمعت أصواتا فى الحظيرة .

أميليا : أصوات ؟ ! . .

مارتيريو : نعم . . وفى وقت متأخر جدا .

أميليا : ولم تشعرى بالخوف ؟

مارتيريو : لا . . لقد تعودت عليها ، فقد سمعت مثلها فى ليالى أخرى .

أميليا : يجب أن نحتاط للأمر ، فربما كانوا لصوصا من بين هؤلاء الحاصدين .

مارتيريو : إن الحاصدين لا يصلون إلا فى الساعة السادسة . .

أميليا : أو لعلها بغلة جموح لم تستأنس بعد . .

مارتيريو : [ فى لهجة لها مغزى والألفاظ تخرج من بين أسنانها ] .. هو هذا . . بغلة جموح ! .

أميليا : لعل من الخير أن نحيط الجميع علما بما يحدث حتى نحتاط لما عسى أن يكون .

مارتيريو : لا . . لا . . لا تقولى شيئاً عن ذلك ، فربما كانت أوهاماً منى لا أساس لها من الحقيقة .

أميليا : ربما . . [ لحظة صمت . . تتجه بعدها أميليا للخروج ] .

مارتيريو : أميليا !

أميليا : ماذا ؟

مارتيريو : لا . . لاشيء . [ لحظة صمت ] .

أميليا : لماذا ناديتنى ؟

مارتيريو : لاأدرى لماذا . . لقد انطلقت منى دون شعور . . [ لحظة صمت ] .

أميليا : لعل الأفضل أن تتمدى قليلا حتى تأخذى قسطاً من الراحة .

أنجوستياس : [ تدخل فى حالة هياج شديد والكلمات تتناثر

من شفتيها ] أين صورة « بيبى » التى كانت تحت وسادتى ؟ من منكن أخذتها ؟

مارتيريو : لا أعرف شيئاً . .

أميليا : إنك تهتمين بصورة « بيبى » كما لو كانت تمثالاً من الفضة لأحد القديسين .

أنجوستياس : أنا أسأل : أين الصورة ؟ [تدخل لابونثيا وماجداليا وأديلا ] .

أديلا : أى صورة ؟

أنجوستياس : واحدة منكن قد سرقتها وخبأتها .

ماجداليا : ألديك من الصفاقة ماتتهميننا معه بذلك ؟

أنجوستياس : لقد كانت الصورة فى غرفتى ، ثم لم يعد لها أثر . .

مارتيريو : ولم لا تكون قد هربت فى منتصف الليل إلى الحظيرة ؟ إن « بيبى » يعجبه التجول فى الليالى المقمرة .

أنجوستياس : ليس هذا وقت المزاح . . وسوف أخبر « بيبى » بالأمر حينما أراه . .

لابونثيا : لا . . لا تفعلى ذلك ، فالصورة ستظهر لا محالة . . [ ثم ترمق أديلا بنظرة تشكك ]

أنجوستياس : ما أشد شوقى إلى معرفة من منكن أخذت الصورة !

أديلا : [ تنظر إلى مارتيريو ] واحدة منا ، أو الجميع فيما عداى .

مارتيريو : [ بلهجة تعريض ] بلا شك ! [تدخل برناردا]

برناردا : ما هذه الفضيحة التى تثرنها فى بيتى ، وفى سكون هذا القيظ ؟ بينما تلصق الجارات آذانهن بالجدران ليتسمعن ما يدور بينكن .

أنجوستياس : لقد سرقن منى صورة خطيبى .

برناردا : [ فى ثورة ] من منهن ؟ من هى ؟

أنجوستياس : لا أعرف . .كلهن .

بارناردا : من منكن سرقت الصورة ؟ [ صمت ] أجبنى ! [ صمت ، ثم تتوجه إلى لابونثيا ]

فتشى جميع الغرف ، وانظرى فى جميع الأسرة . . إن هذه هى نتيجة تساهلى معكن . . سترين الآن . . [ تلتفت إلى أنجوستياس] ولكن هل أنت متأكدة ؟

أنجوستياس : نعم .

برناردا : هل فتشت جيدا فى غرفتك ؟

أنجوستياس : نعم يا أمى . [ يقف الجميع فى جو من الصمت والحرج .. ]

برناردا : أهكذا تجرعنى .. وأنا فى أيامى الأخيرة من كئوس السم أمر ما قضى على أم أن تتجرعه ؟ [ تتجه إلى لابونثيا التى تدخل فى هذه اللحظة ] هل وجدتيها ؟

[ وفى يدها الصورة ]

لا بونثيا : ها هى ذى !

برناردا : أين كانت ؟

لابونثيا : [ مترددة ] .. كانت ..

برناردا : قولى ولا تخشى شيئا .

لا بونتيا : [ وهى لا تخفى استفزازها ] .. بين الملاءات والأغطية على سرير مارتيريو .

برناردا : [ تخاطب مارتيريو ] .. أهذا صحيح ؟

مارتيريو : نعم .. صحيح .

برناردا : [ تتقدم فى غضب وتنهال عليها ضربا ] .. ألا قيض لك الله من يوجهها إليك طعنة قاتلة .. أيتها الذبابة الميته .. يا ناشرة سموم الفتنة !

مارتيريو : [ فى هياج ] .. لا تضربينى يا أمى !

برناردا : سأضربك حتى تكل يداى ..

مارتيريو : هذا إذا تركتك .. أتسمعين ؟ فكفى عن ذلك .. خير لك ! ..

لا بونتيا : حذار من أن تتعدى على أمك ..

أنجوستياس : [ حاجزة بين مارتيريو وأمها ] .. دعها من فضلك يا أمى ..

برناردا : حتى الدموع لم تبق منها بقية فى عينيك !

مارتيريو : لن أبكى حتى أحرمك من التمتع بذلك !

برناردا : لماذا أخذت الصورة ؟

مارتيريو : أحرام أن أوجه إلى أختى دعابة ؟ وما يهمنى أنا من أمر الصورة ؟

أديلا : [ وقد انفجرت ثورة غيرتها ] .. لا .. لم تكن دعابة ، وما كنت أبداً ممن يألف هذا النوع من الدعابات .. وإنما كان شيئاً يضطرب فى صدرك حتى انطلق على الرغم منك .. اعترفى بذلك فى صراحة .

مارتيريو : اسكتى أنت ولا ترغمينى على الكلام ، فلو أنى قلت بعض ما أعرف لانطبقت الجدران بعضها على بعض من هول الخزى والعار ..

أديلا : إن لسان السوء لا نهاية لما يختلق من أكاذيب .

برناردا : أديلا !

ماجداليا : لقد جننتما .

أميليا : وأصبحتما ترجماننا بظنون السوء ..

مارتيريو : غيرى تتجاوز ظنون السوء إلى أبشع الأعمال .

أديلا : .. حتى يتعرين من ثيابهن ويحملهن تيار النهر ..

برناردا : .. رقيعة !

أنجوستياس : ليس ذنبى أن يكون « بيبى إل روماتو » قد خطبنى أنا دونكن .

أديلا : من أجل مالك !

أنجوستياس : أماه .

برناردا : اسكتى !

مارتيريو : من أجل أرضك ومزارعك .

ماجدالينا : تلك حقيقة لا شك فيها .

برناردا : اسكتن جميعا .. لقد كنت أشعر بقرب هبوب العاصفة ولكنى لم أكن أتوقع أن ذلك أقرب مما أتصور .. أى حقد هذا الذى ملأ قلوبكن حتى أسلطن على قلبى فيض بركانه .. ولكنى لم أطعن فى

السن بعد .. ولدىّ خمس سلاسل أعرف
كيف أحكم بها قيادكن ، ثم هذا البيت
الذى بناه أبى لكى أدفن فيه آلامى
وأستر رزيتى حتى عن أعشاب الأرض..
أخرجن من هنا جميعاً [ يخرجن وتتمالك
برناردا على مقعد فى حزن وانكسار ، بينما تظل
لابونشيا واقفة إلى جوار الحائط ، ثم تتماسك
برناردا نفسها وتدق على الأرض بقدمها وتقول : ]
علىّ أن أكف أيدى بعضهن عن بعض ..
[ تخاطب نفسها ] لتذكرى أن هذا واجبك
يا برناردا .

لابونشيا : أأستطيع الكلام ؟

برناردا : تكلمى .. وإنى آسفة لأنك سمعت
ما قلن ، إذ لا يحسن أن يطلع الغرباء على
أسرار عائلة .

لابونشيا : لقد رأيت ما رأيت وسمعت ما سمعت ،
وقضى الأمر .

برناردا : الأصلح دوأن تتزوج أنجوستياس على الفور .

لابونثيا : بلا شك ، فمن الخير أن تترك هذا المنزل .

برناردا : إنما أعنى أن نبعده هو عن هنا ..

لابونثيا : طبعا ، علينا أن نبعده كذلك عن هذا المنزل ، لقد أحسنت التفكير ..

برناردا : أنا لا أفكر ، فهناك أشياء لا تحتمل التفكير .. وإنما أنا آمر .

لابونثيا : ولكن .. أتعتقدين أنه سيبتعد طائعاً عن هنا ؟ ..

برناردا : [ ناهضة ] — ما الذى يدور فى رأسك ؟

لابونثيا : لا شيء .. إنه سيتزوج طبعا من أنجوستياس ..

برناردا : تكلمى .. إننى أعرفك جيدا ، وأعلم من تجاربى معك أنك قد أعددت لى السكين ..

لابونثيا : لم أعتقد أبداً أن إسداء النصح والتحذير جريمة .

برناردا : ألديك ما تحذرينى منه ؟

لابونثيا : أنا لا أتهم يا برناردا .. فقط أقول لك :
افتحى عينيك وسترين !

برناردا : سأرى ماذا ؟

لابونثيا : لقد كنت دائما ذكية حاضرة الذهن ،
وطالما تكشفت لك شرور الناس وهم منك
على بعد مائة ميل .. وكثيراً ما كنت أعتقد
أنك تقرأين أفكار الناس .. ولكن الأبناء
هم الأبناء .. وأنت الآن عنهم عمياء ..

برناردا : هل تشيرين إلى مارتيريو ؟

لابونثيا : آه .. مارتيريو ؟ إن ما صنعته هذه أيضا
يدعو إلى التساؤل . [ فى حب استطلاع ] .
ترى ما الذى حملها على إخفاء الصورة ؟

برناردا : [ محاولة تغطية ابتسامها ] — على أية حال ،
لقد سمعتها تقول إنها كانت دعابة ..
وإلا فأى شىء آخر يمكن أن تكون ؟

لابونثيا : [ ببطء وفى نبرة سخرية ] — أتصدقين أنت
هذا ؟

برناردا : [ فى شدة وحنان ] — لست فى حاجة إلى تصديق أو تكذيب ، فقد كانت بالفعل دعابة لا أكثر من ذلك .

لابونثيا : طبعا .. لأن الأمر يتعلق بابنتك أنت ، ولو كانت بنت الجارة المواجهة فماذا كنت تقولين ؟

برناردا : ها قد بدأت تخرجين لى طرف السكين ..

لابونثيا : [ فى قسوة ] .. اسمعى يا برناردا .. شىء هائل يحدث الآن فى هذا البيت ، وأنا لا أريد أن ألقى كل تبعة ما يحدث عليك أنت ، فإنك لم تتركى أى نصيب من الحرية لبناتك . فارتيريو مثلا ضعيفة سريعة الانزلاق فى الحب مهما بدا لك أن تقولى عنها . لماذا لم تدعيها تتزوج من إنريكى أوماناس ؟ لماذا أرسلت إليه تمنعينه من القدوم فى نفس اليوم الذى أراد أن يأتى فى مسائة إلى نافذتها لكى يتحدث إليها ؟

برناردا : لو أن ذلك تكرر الآن لفعلت ما فعلته عندئذ ألف مرة . فإن دمى لن يمتزج بدم بيت « أوماناس » أبداً طالما كنت على قيد الحياة . إن إباه كان عاملا أجيراً .

لابونثيا : ولهذا يتصاعد دخان الكبر من منخريك ؟

برناردا : إذا كنت أتكبر فلأن لدى من الحسب ما أتكبر من أجله ، أما أنت مثلا فلا تستطيعين لأنك تعرفين جيدا ما هو أصلك .

لابونثيا : [ فى حقد مكبوت ] — لا تذكرينى بذلك وأنا فى نهاية العمر ، ولقد شكرت لك دائماً حسن رعايتك وحمايتك ..

برناردا : [ وقد تزايد كبرياؤها ] — لا يبدو ذلك .

لابونثيا : [ فى صوت ناعم تكمن فيه الكراهية ] — أما مارتيريو فإنها سوف تنسى كل ذلك ..

برناردا : وإذا لم تنسه فشر لها . ولكن .. لست أظن أن هذا هو الشىء الهائل الذى قلت

لى إنه يحدث فى هذا البيت .. وأنا أقول لك إنه لا يجرى أى شىء هنا ، وإن كنت أنت تتمنين أن يحدث الكثير ! ولو وقع شىء فى يوم من الأيام فإن نبأه لن يتجاوز هذه الجدران .

لابونثيا : هذا ما لا أستطيع أنا أن أؤكده .. فإن فى هذا البلد ناسا مثلك يقرأون الأفكار الخفية أيضا من بعد .

برناردا : أى سرور شيطانى يغمر قلبك إذ رأيتنى أنا وبناتى فى الطريق إلى بيت البغاء ؟ !

لابونثيا : [ فحقد لا تستطيع كتمانه ] — ليس هناك من يعرف إلام سينتهى مصيره !

برناردا : أما أنا فأعرفه تمام المعرفة ! وأعرف كذلك مصير بناتى ! وأما بيت البغاء [ فى لهجة تعريض بأم « لابونثيا » ] فقد بقى لنساء أخريات أصبحن الآن ترابا فى القبور !

لابونثيا : أتعرضين لى بأمى . . برناردا ، احترمى قليلا ذكرى امرأة ميتة !

برناردا : وأنت لا تطاردينى بأوهامك السيئة .

[ لحظة صمت ]

لابونثيا : من الخير لى ألا أقحم نفسى فى شىء .

برناردا : هذا ما كان ينبغى عليك أن تفعلى . . العمل والسكوت عن كل شىء وهو واجب كل خادم أجير .

لابونثيا : ولكن السكوت يصبح مستحيلا فى بعض الأحيان . ألا ترين مثلا أن بيبى كان من الخير له أن يتزوج من مارتيريو . . أو من . . أديلا ؟

برناردا : لا . . لا أرى ذلك .

لابونثيا : أديلا . . إنها أصلح عروس لبيبى إنى رومانو من بين بناتك .

برناردا : ليس من اللازم أن تجرى الأمور على ما تهوى . .

لابونثيا : ولكن الأشياء إذا لم تجر فى طرقها الطبيعية فإن تغييرها يكلف كثيراً من العناء . وأنا شخصيا لا يعجبنى أن يتزوج بيبى من أنجوستياس ولا يعجب ذلك أحداً من الناس . . بل لا يعجب الهواء نفسه ، ومن يدرى . . فلعل هذا الزواج لا يتم !

برناردا : ها نحن مرة أخرى فى هذا الجدل العقيم ! . . ما أخبث لسانك هذا الذى لا يليث أن ينزلق مرة أخرى لكى يؤرقنى بشتى الأحلام المزعجة . إنى لا أريد أن أستمع إليك ، إذ لو أننى توصلت إلى ما تقصدين من وراء هذا الحديث لأوجعت ضربك .

لابونثيا : خفضى عليك . . فليس الأمر إلى هذا الحد من الخطورة .

برناردا : من حسن حظى أن بناتى يحترمنى ولم يفكرن أبداً فى عصيان أوامرى .

لابونثيا : هذا صحيح . . طالما قمت على حراستهن ، فلو تهاونت فى ذلك قليلا فإنهن سيصعدن عنك إلى سطوح المنازل مثل القطط !

برناردا : وأنا كفيلة بإنزالهن منقيـــة عليهن بالأحجار !

لابونثيا : [ فى ملق مصطنع ] — ليس هناك شك فى أنك أشجع النساء .

برناردا : [ فى زهو ] — هكذا كنت دائما ! . .

لابونثيا : ولكن . . هناك أشياء عجيبة حقا : فأنجوستياس ولها من العمر ما لها تبدو شـــديدة الحماس لزواجها كأنها فتاة مراهقة ، وهو لا يبدو أقل منها حماساً ، ولقد أخبرنى ابنى الأكبر أنه حين مر من هنا فى الساعة الرابعة والنصف من

ليلة أمس فى طريقه إلى الحقل – رآهما يتحدثان حتى ذلك الوقت .

برناردا : [ فى دهشة ] – حتى الرابعة والنصف صباحاً ؟

أنجوستياس : [ مقتحمة الغرفة ] – هذا كذب !

لابونتيا : هذا هو ما حُدِّثْتُ به .

برناردا : [ مخاطبة أنجوستياس ] – تكلمى أنت .

أنجوستياس : إن بيبى منذ أكثر من أسبوع يغادر نافذتى فى طريقه إلى منزله فى نحو الساعة الواحدة . أمانتى الله إن كنت كاذبة ! .

مارتيريو : [ وهى داخلة إلى المسرح ] – أنا كذلك أحسست به يذهب حوالى الساعة الرابعة .

برناردا : ولكن أرأيته أنت بعينيك ؟

مارتيريو : لم يخطر ببالى أن أطل عليهما وهما يتحدثان . [ متجهة إلى أنجوستياس ] ألستما تتكلمان الآن من خلال النافذة المطلة على الدرب الجانبى ؟

أنجوستياس : بل من نافذة غرفتى [ تظهر أديلا بالباب ]

مارتيريو : إذن . . . ؟

برناردا : ماذا تقال ؟ ما الذى يجرى هنا ؟

لابونشيا : تحققى من صحة الأمر فى ذلك . . ولكنى أستطيع أن أؤكد أن ببى كان هنا قريباً من إحدى نوافذ بيتك حتى الساعة الرابعة من فجر اليوم .

برناردا : أتعلمين هذا علم اليقين ؟

لابونشيا : ليس هناك شىء فى هذه الحياة يُعلَم علم اليقين .

أديلا : لا تستمعى يا أمّ إلى من لا يتمنى لنا جميعاً إلا الشر .

برناردا : سأعرف كيف أطلع على جلية الأمر ، وإذا كان أهل البلد يريدون أن يصطنعوا أقاويل أو يأتوا بشهادات زور فأنا ماثلة هنا كالصخرة تتحطم دونها أمواج الافتراءات . وكثيراً ما عمد بعض الناس

هنا إلى إثارة مثل هذه الأمواج من الوحل حتى يغرقونا فيها .

مارتيريو : فلتكونى على يقين من أننى لا أكذب .

لابونثيا : وأنا أقول إن شيئاً ما يحدث هنا .

برناردا : [ فى حدة ] ليس هناك شىء . . ولن يكون . . لقد ولدت لكى تكون عيناى مفتوحتين دائما . . والآن سأكون على حذر ولن أغلق عينىّ أبدا حتى أموت .

أنجوستياس : إن من حقى أن أعرف حقيقة مايجرى ..

برناردا : ليس من حقك إلا أن تطيعى ما تؤمرين به . ولست أنا التى تذهب بها كلمة وتأتى بها كلمة [ إلى لابونثيا ] أما أنت فليس لك شأن إلا بما هو واجبك من رعاية شئون البيت . ولتعلمن جميعا أنه لن يستطيع أحد فى هذا المنزل أن يخطو خطوة إلا بعلمى وبموافقتى !

الخادمة : [ تدخل لاهثة فى هذه اللحظة ] — فى رأس الشارع جمهور كبير ، وجميع الجيران قد خرجوا إلى أبواب بيوتهم ينظرون !

برناردا : [ فى فضول إلى لابونثيا ] — اذهبى بسرعة لتعرفى جلية الأمر . [ يجرى الجميع للخروج ] وأنتن .. إلى أين تذهبن ؟ لقد عهدتكن دائما نساء مغردات بالوقوف لدى النوافذ دون نظر إلى احترام رسوم الحداد ! .. اذهبن إلى الفناء ولا تتحركن من هناك !

[ يخرجن حيما ويسمع لغط بعيد فى الخارج ، تدخل مارتيريو وأديلا ويبقيان وحدهما دون أن تجرؤ إحداهما على التحرك إلى باب الخروج ]

مارتيريو : أحمد الله على أنى لم أطلق لسانى !

أديلا : وأنا أيضا كنت أستطيع أن أتكلم .

مارتيريو : وما الذى كنت تستطيعين أن تقولى ، رغبتك فى أن تتكلمى شىء والقدرة على الكلام شىء آخر !

أديلا : والكلام شيء ، والعمل شيء آخر فالذى يعمل هو الذى يستطيع ، وهو الذى يسبق غيره ، وأنت كنت تريدين .. ولكنك لم تقدرى ! ..

مارتيريو : لن يظل الأمر فى طى الكتمان زمنا طويلا ..

أديلا : سأظفر بكل ما أريد .

مارتيريو : لأكسرن ذراعيك قبل أن تعودى إلى معانقته ..

أديلا : [ تغير لهجتها وتقول فى رقة استعطاف ] :: مارتيريو .. اتركينى وشأنى !

مارتيريو : هذا لن يكون !

أديلا : إنه يريدنى أنا للزواج !

مارتيريو : لقد رأيتك وأنت تعانقينه !

أديلا : إنى لم أكن أريد .. غير أنى كنت أشعر كأننى مجرورة إليه بحبل .

مارتيريو : أفضل أن أراك جثة هامدة على أن يعود

هذا إلى التكرار .

[ تبدو بالباب ماجداليا وأنجوستياس ، اللغط يزداد فى الخارج ]

لابونثيا : [ تدخل هى وبرناردا ] — برناردا !

برناردا : ما هناك ؟

لابونثيا : إنها ابنة « لبرادا » العازبة .. أتت بولد لا يعرف أحد من هو أبوه !

أديلا : ولد ؟

لابونثيا : وقد أرادت أن توارى عارها ، فقتلته ودفنته هناك بين بعض الأحجار .. ولكن بعض الكلاب التى وهبها الله من الرحمة ما لم يهبه لأمه أخرجته من هناك ثم حملته إلى باب تلك المرأة كما لو كانت يد الله تهديها إلى حيث تترك جثة الطفل الميت ، وأهل القرية يريدون الآن قتلها ، وهم الآن يجرونها على وجهها فى الشارع ، أما الرجال فإنهم قادمون الآن من حقول الزيتون

ولهم جلبة وضجيج تكاد ترتجف منهما المروج ..

برناردا : نعم .. ليأت الجميع وفى أيديهم فروع الزيتون والمجارف ، وليشبعوها ضربا حتى يقتلوها !

أديلا : لا .. لا .. ما كان لهم أن يقتلوها !

مارتيريو : بل هذا هو ما يجب أن يفعلوا .. ولنخرج نحن أيضا لنشهد مصرعها .

برناردا : إن هذا هو الجزاء الحق لكل من وطئ شرفة .. [ تسمع فى الخارج صرخات امرأة وأصوات مختلفة تنبعث من جمهور عظيم ]

أديلا : ليتركوها وشأنها .. وأنتن لا تخرجن ولا شأن لكن بها ..

مارتيريو : [ ناظرة إلى أديلا ] — دعيها تدفع ثمن ما ارتكبته من جريمة ..

برناردا : [ مطلة على الجماهير ] — اقتلوها بسرعة

قبل أن تستنقذها منكم أيدى الشرطة ..

وأشعلوا النار فى مكان خطيئتها ..

أديلا : [ صارخة وهى ممسكة ببطنها ] — لا .. لا .. لا تفعلوا ..

برناردا : اقتلوا الفاجرة .. اقتلوها ! ..

( ستـــار )

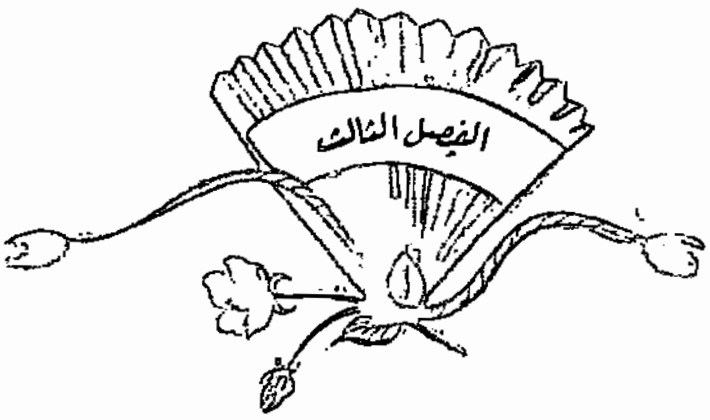


[ أربعة جدران بيضاء مشوبة بلون أزرق خفيف فى الفضاء الداخلى لمنزل برناردا ألبا . الوقت ليل . المنظر ينبغى أن تتسم خطوطه بالبساطة التامة . أما الأبواب فإنها مضاءة إضاءة خفيفة تنبعث من داخل الغرفة . وفى الوسط مائدة عليها مصباح غازى كبير ، برناردا وبناتها جالسات يتناولن طعام العشاء ، وتقوم على خدمتهن لابونثيا ، وبقربهن برودنثيا جالسة على كرسى بجوار برناردا . عند رفع الستار يسود صمت مطبق لا يقطعه بين لحظة وأخرى إلا صوت الأطباق ] .

برودنثيا : آن لى أن أذهب ، فقد أطلت عليكم الزيارة [ تنهض للذهاب ] .

برناردا : انتظرى قليلا . . فقد مضى وقت طويل لم أرك فيه .

برودنثيا : هل سمعتم دقات الأجراس الأخيرة لقراءة الأوراد ؟

لابونثيا : لا . . لم نسمعها بعد [ برودنثيا تعود إلى الجلوس ] .

برناردا : وزوجك . . كيف هو الآن ؟

برودنثيا : كما هو . . ليس هناك من جديد .

برناردا : لم نره منذ زمن .

برودنثيا : أنت تعرفين طباعه . إنه منذ أن تنازع مع إخوته من أجل التركة لم يخرج من باب المنزل قط وفاء بالقسم الذى قطعه على نفسه ، فهو يضع سلماً على الباب الخلفى وينزل منـــه متخطيا الحظيرة وجدران الدار . .

برناردا : إنه لرجل حقا ! . . وابنتك ؟

برودنثيا : لم يغفر لها ما فعلت حتى اليوم . .

برناردا : لقد أحسن صنعا .

برودنثيا : لست أدرى ماذا أقول لك . . إنى أقاسى الكثير من أجل ذلك .

برناردا : إن البنت التى تعصى أمر والديها لا يمكن أن تعتبر بنتا لأمها وإنما هى عدوة صريحة .

برودنثيا : لقد وطنت نفسى على أن أدع الماء يجرى إلى حيث قدر الله له أن ينتهى . . ولم يبق لى بعدُ عزاء إلا اللجوء إلى صلواتى فى الكنيسة ، وحتى ذهابى إلى الكنيسة أظن أنى سوف أنقطع عنه ، إذ أن بصرى يضعف كل يوم . . ولست أريد أن يعبث بى الصبيان [ يسمع صوت دقات عالية على الجدار ] . . ما هذا ؟

برناردا : إنه حصان النتاج قد أغلقوا عليه ، فهو لا ينفك يدق الأرض والجدران بقوائمه . . [ تلتفت إلى الخارج وتصيح بصوت مرتفع ] قيدوه ودعوه يخرج إلى الحظيرة . [ ثم تستطرد فى صوت خفيض ] لابد أن شدة الحر تضايقه .

برودنشيا : أتنوون أن تتركوا له الأفراس الجديدة ؟

برناردا : نعم . فى صباح الغد .

برودنشيا : لقد عرفت كيف تضاعفين عدد مواشيك . .

برناردا : ولكن بكثير من النفقات والتضحيات . .

لابونشيا : [ تقاطعها ] — ولكن قطيعها الآن هو خير ما فى هذه النواحى . . لولا أن أسعار الماشية الآن منخفضة لسوء الحظ .

برناردا : أتريدين قليلا من الجبن والعسل ؟

برودنشيا : ليس لدى شهية الأكل الآن . .

[ يتكرر صوت الدق على الجدران ]

لابونشيا : يا إلهى ! . .

برودنشيا : لقد كاد هذا الدق يمزق أحشائى . .

برناردا : [ تنهض غاضبة ] — ألا يمكن أن تنفذوا أمراً إلا إذا كررته مرتين ؟ اتركوه يتمرغ على أكوام التبن .. [ لحظة صمت ثم تواصل الحديث متجهة إلى الخارج كما لو كانت تتحدث مع خدم الحظيرة ] أدخلوا الأفراس

إلى الحظيرة وأقفلوا عليها ، واتركوه طليقاً . . فإنه يوشك أن يهدم على رؤوسنا جدران البيت . [ ثم تتجه إلى المائدة وتعود إلى الجلوس ] . آه . . يا لها من حياة ! . .

بروديثيا : ما أقواك يا برناردا . . تأمرين وتنهين كما لو كنت رجلا ! . .

برناردا : نعم . . هوذاك [ تنهض أديلا عن المائدة ] إلى أين تذهبين ؟

أديلا : سأشرب كوبا من الماء . .

برناردا : [ إلى لابوديثيا فى صوت عال ] — هاتى دورق ماء بارد [ ثم تتجه إلى أديلا ] وأنت يمكنك أن تجلسى [ أديلا تعود للجلوس ] .

بروديثيا : وأنجوستياس . متى ستتزوج ؟

برناردا : سيأتون لخطبتها خلال ثلاثة أيام .

بروديثيا : [ تخاطب أنجوستياس ] — لعلك الآن مسرورة !

أنجوستياس : نعم . . بطبيعة الحال .

أميليا : [مخاطبة ماجدالينا] — ها أنت قد سكبت الملح !

ماجدالينا : لا أظن أن حظك سيكون أسوأ مما هو الآن !

أميليا : إن انسكاب الملح ينذر دائما بوقوع حادث سيئ .

برناردا : دعن هذا الحديث !

برودنشيا : [إلى أنجوستياس] — هل أهداك خاتم الزواج ؟

أنجوستياس : [تمد يدها به إلى برودنشيا] — ها هو ذا . . انظرى إليه .

برودنشيا : ما أجمله ! . . فص من ثلاث لآلئ . . لقد كانت اللآلئ على أيامى تعنى الدموع !

أنجوستياس : ولكن الأيام تغيرت الآن يا خالة .

أديلا : أنا أظن أنه لم يتغير شيء . بل هى تدل على ما كانت تدل عليه دائما . ولهذا فإن

خواتم الزواج ينبغى أن تكون من فصوص الياقوت .

بروذنثيا : كان هذا أوفق !

برناردا : يواقيت أو لآلئ . . الكل سواء ، وإنما معانى الأشياء بقدر ما تكون النية فى تقديمها .

مارتيريو : أو كما قدر الله لها أن تكون ! . .

بروذنثيا : حدثونى أن جهاز البيت فى غاية الروعة .

برناردا : لقد كلفنى إعداده ستة عشر ألف ريال .

لايونثيا : [ متدخلة فى الحديث ] — وأجمل ما فيه الدولاب ذو المرآة .

بروذنثيا : لم أر فى حياتى دولابا من هذا النوع ..

برناردا : كان الشائع فى أيامنا صندوق الثياب .

بروذنثيا . : المهم هو أن يتمم الله كل شىء بالتوفيق .

أديلا : هذا أمر لا يمكن أن يتنبأ به أحد .

برناردا : ليس هناك ما يدعو إلى مثل تلك الظنون .

[ يسمع صوت أجراس من بعيد ] ..

برودنثيا : هذه هى الدقات الأخيرة .. [ إلى أنجوستياس] سأذهب الآن ، ولكنى سأعود لكى ترينى ثياب العرس .

أنجوستياس : حينما تريدين يا خالة ..

برودنثيا : أطاب الله مساءكن جميعا ..

برناردا : فى حفظ الله يا برودنثيا .

الفتيات الخمس : [ فى صوت واحد ] — بسلامة الله ! ..

[ لحظة صمت — تخرج برودنثيا ]

برناردا : قد فرغنا من الطعام [ تهمس ] .

أديلا : سأذهب حتى البوابة لكى أسرح رجلىّ وأتنسم قليلا من الهواء البارد .

[ ماجداليتا تجلس على كرسى منخفض مستند إلى الحائط ]

أميليا : انتظرى قليلا ، فسآتى معك ..

مارتيريو : وأنا أيضا .

أديلا : [ فى حقد مكبوت ] — إنى أعرف طريقى جيدا ولا أحتاج لرفقتكما .

أميليا : الرفقة فى ظلام الليل خير من الوحدة

[ تخرج الثلاث ]

[ برناردا تظل جالسة بينما تعمل أنجوستياس فى تنظيف المائدة ]

برناردا : لقد قلت لك إنى أريد أن تتحدثى مع أختك مارتيريو بصدد الصورة . إن ما حدث لم يكن إلا دعابة ينبغى أن تنسيها .

أنجوستياس : أنت تعرفين أنها لا تحبنى .

برناردا : كل منا حُرٌّ فى أن يفكر فى باطنه فيما يشاء ، وأنا لا أحاول أن أستجلى أغوار مشاعركن ، وكل مايهمنى هو أن يكون لنا ظاهر طيب وتفاهم عائلى تام . أتفهمين ؟

أنجوستياس : نعم .

برناردا : إذن انتهينا .

ماجدالينا : [ وهى تغالب النوم ] — ثم إنك ستغادرين

هذا المنزل قبل جميعنا . [ تستلقى على مقعدها وتنام ]

أنجوستياس : ومع ذلك فإنه يبدو لى أنى تأخرت كثيراً فى مغادرته .

برناردا : فى أى ساعة انتهيت ليلة أمس من الحديث مع بيبى ؟

أنجوستياس : فى الثانية عشرة والنصف .

برناردا : وماذا قال لك ؟

أنجوستياس : إنى أراه فى هذه الأيام ساهما كثير الشرود ، وهو يتحدث إلىّ كما لو كان يفكر فى شىء آخر ، فإذا سألته عما به أجابنى بأن الرجال لديهم الكثير من الهموم والمشاغل الخاصة .

برناردا : ما كان عليك أن تسأليه ، وإذا تزوجت فأقلى من سؤاله ، ولا تكلميه إلا إذا بدأك هو بالكلام ، وإذا نظر إليك فانظرى إليه ، وبهذا يمكن أن تتجنبى

كثيراً من المضايقات . .

أنجوستياس : إنى أعتقد يا أمى أنه يخفى عنى أشياء كثيرة .

برناردا : لا تحاولى اكتشافها ، ولا تسأليه ، واحرصى على ألا يراك باكية أبدا .

أنجوستياس : أماه .. لقد كان من الجدير بى أن أكون مبتهجة مسرورة ، غير أنى أحس بأنى مقبوضة الصدر .

برناردا : سواء أن تكونى مسرورة أو حزينة ..

أنجوستياس : إنى كثيراً ما أنظر إلى « بيبى » فى إمعان ، فأرى كأن صورته قد انمحت من بين قضبان النافذة ، كما لو حجبته عنى سحابة من التراب الذى تثيره قطعان الماشية أثناء سيرها ..

برناردا : هـــذه التصورات ليست إلا وليدة الضعف .

أنجوستياس : ليتها كانت كذلك !

برناردا : أهو قادم الليلة ؟

أنجوستياس : لا .. إنه ذهب مع أمه إلى العاصمة .

برناردا : إذن فسوف ننام اليوم فى ساعة مبكرة .
[ منادية ] ماجدالينا !

أنجوستياس : لقد نامت . [ تدخل أديلا ومارتيريو وأميليا ]

أميليا : ما أشد الظلام هذه الليلة !

أديلا : لا يكاد المرء يرى على بعد خطوتين .

مارتيريو : ما أصلحها ليلة للصوص ، فإنهم لن يعدموا فيها ملاذاً ومختبأ .

أديلا : لقد كان حصان النتاج فى وسط الحظيرة . أبيض ناصع البياض ! وكان يبدو فى ضعف حجمه مالئاً كل الفراغ المظلم .

أميليا : حقا .. لقد كان يثير الذعر فى النفوس ، وكأنه شبح من الأشباح !

أديلا : والنجوم تلمع فى السماء .. كبيرة كأنها قبضات أيد .

مارتيريو : لقد أقبلت هذه على النظر إلى النجوم

حتى كان عنقها ينخلع .

أديلا : ألا يعجبك أنت النظر إلى النجوم ؟

مارتيريو : أنا لا يهمنى شيء من أمر كل ما يعلو سقوف الغرف . إذ يكفينى ما يجرى ما بين جدرانها .

أديلا : نعم ، هذا هو ماتصلحين له .

برناردا : نعم ، هى لما تصلح له ، وأنت لما يصلح لك ..

أنجوستياس : مساء الخير .

أديلا : أذاهبة أنت إلى الفراش الآن ؟

أنجوستياس : نعم ، فإن « بيبي » لن يجيء الليلة .
[ تخرج ]

أديلا : أمى .. لماذا جرى الناس حينما تسيل نجمة فى السماء أو يومض البرق على أن يقولوا :

ياباربارة القديسة .. أيتها المباركة

ها هو ذا اسمك مكتوب فى السماء

بالماء المقدس على صفحة الفضاء .

برناردا : إن الناس فى القديم كانوا يعرفون أشياء كثيرة لم نعد اليوم نذكرها .

أميليا : أما أنا فإنى أغمض عينىّ حتى لا أراها .

أديلا : وأما أنا فيطيب لى أن أرى هذه الأجرام تهوى ، وهى مشتعلة ناراً بعد أن ظلت ساكنة سنوات وسنوات .

مارتيريو : ولكن هذه الأشياء لا صلة بيننا وبينها .

برناردا : ومن الأفضل ترك التفكير فيها .

أديلا : يالها من ليلة رائعة الجمال ! لكم يعجبنى أن أظل حتى وقت متأخر لأتمتع بنسيم الحقول ...

برناردا : ولكن عليكن الآن أن تأوين إلى الفراش .
[ تنادى بصوت عال ] ماجداليتا !

أميليا : إنها فى الإغفاءة الأولى .

برناردا : ماجداليتا ؛

ماجداليتا : [ تتحرك فى مقعدها وتتمتم فى امتعاض ] — اتركينى وشأنى !

برناردا : اذهبي إلى فراشك !

ماجدالينا : [ تقوم فى تثاقل وقد بدا عليها الضيق ] — ألا تدعينى أستريح فى هـــدوء ؟ !

[ تذهب وهى متمتمة بكلمات غير مفهومة ]

أميليا : مساء الخير [ تذهب ]

برناردا : اذهبا أنتما أيضا ٥

مارتيريو : لماذا لن يأتى خطيب أنجوستياس الليلة ؟

برناردا : إنه على سفر .

مارتيريو : [ ناظرة إلى أديلا فى ريبة ] — آه ! ..

أديلا : إلى الغد .. [ تخرج ] .

[ مارتيريو تشرب قدحا من الماء ثم تخرج فى تثاقل وهى ناظرة إلى الباب الذى يؤدى إلى الحظيرة .. ]

لابونثيا : [ تدخل إلى المسرح ] — ألا تزالين هنا ؟

برناردا : نعم ٥ متمتعة بصفاء هـــذا الصمت العميق ، دون أن أرى فى أى مكان هذا « الشيء الهائل » الذى تقولين إنه يحدث هنا على ما تقولين .

لابونثيا : من الخير أن ندع هذا الحديث يا برناردا .

برناردا : إذن فاعلمى أنه ليس فى هذا البيت « نعم » أو « لا » ، وأن حراستى اليقظة لا تدع مجالا لأن ينطق أحد بكلمة .

لابونثيا : نعم . لا يحدث شيء وفى هذا البيت .. هكذا يبدو الأمر من ظاهر ، معك حق .. وبناتك يعشن فيه فى الحفظ والصون كما لو كنت تحفظينهن فى خزانة . ولكن .. لا أنت ولا غيرك تستطيع أن تحرس القلوب التى فى الصدور ..

برناردا : إن بناتى يتنفسن تنفساً طبيعيا ..

لابونثيا : هذا أمر لا يهم غيرك ، إذ أنت أمهن ؛ وأما أنا فلى فى خدمة بيتك ما يكفينى .

برناردا : أراك الآن تفضلين الصمت والسكوت ..

لابونثيا : إنما أنا فى المكان الذى جُعِلْتُ له ، والسلام ! ..

برناردا : بل الحقيقة هى أنك لا تجدين ما تقولين .. ولو كان فى هذا البيت مرعى هين سهل لسارعت أنت لتتكفلى باستحضار ماشية الجيران حتى تأتى عليه طعمة سائغة !

لابونثيا : إننى أسد من ثغرات هذا البيت أكثر مما تتصورين ..

برناردا : أما زال ابنك يرى « بيبى » فى الرابعة بعد الفجر ؟ أما زال يصب لعناته على هذا البيت ؟

لابونثيا : لم أسمع أحداً يتحدث بشىء ..

برناردا : بل لأنه لم يستطع أحد أن يقول شيئاً .. لأنه لم يعد هناك من لحم يعملون فيه أسنانهم .. وإنما الفضل فى ذلك يعود إلى حراستى وعينىَّ المفتحتين ! ..

لابونثيا : برناردا .. لست أريد الكلام لأنى أخشى سوء تأويلك .. ولكنى أكتفى بأن أنصحك بشىء : لا تثقى فى نفسك ..

برناردا : بل أنا واثقة كل الثقة .

لابونثيا : ومن يدرى ؟ .. فربما انقضت الصاعقة فجأة .. ومن يعلم الغيب فربما أصابتك ضربة يقف لها قلبك !

برناردا : هنا لا يحدث شيء .. وأنا يقظة لكل ما تزعمين أنه قد يقع ..

لابونثيا : هذا خير لك وأفضل ..

برناردا : ما كنت فى حاجة إلى أن تنبهينى إلى ذلك ! ..

الخادمة : [ وهى داخلة ] — قد انتهيت من غسل الأطباق . أتأمرين بشيء آخر يابرناردا ؟

برناردا : [ناهضة] — لا .. سأذهب لأستريح .

لابونثيا : فى أى ساعة تريدين أن أوقظك ؟

برناردا : لست فى حاجة إلى ذلك ، فسأنام اليوم على ما أشتهى [تخرج]

لابونثيا : حينما يعجز المرء عن مغالبة أمواج البحر فإن أيسر ما يستطيع . هو أن يدير ظهره

إليها حتى يتجنب رؤيتها ! ..

الخادمة : إنها من الكبر والغرور بحيث توثر أن تعصب عينيها بغشاوة .

لابونثيا : أما أنا فلا أستطيع أن أفعل شيئا .. لقد أردت أن أتجنب وقوع الكارثة ، ولكن لم يعد باليد حيلة . فالأحداث تتعاقب بسرعة رهيبة مفزعة .. أترين الصمت المخيم على هذا الدار ؟ إنه ليس إلا ظاهراً تختمر فى باطنه عاصفة هوجاء فى كل غرفة .. فإذا ثارت هذه العواصف فإنه لن يسلم من شرها أحد منا جميعا ، ولقد أعذرت إذا أنذرت وقلت ما كان علىّ أن أقول !

الخادمة : إن برناردا تعتقد أنه ليس فى وسع أحد أن يعترض طريقها ، وهى لا تقدر مدى ما لرجل واحد من قوة بين نساء وحيدات ..

لابونثيا : الحقيقة أن الذنب ليس ذنب « بيبي إل رومانو » وحده ، صحيح أنه كان يطارد أديلا فى العام الماضى وأنها تعلقت به إلى حد الجنون ، ولكن كان ينبغى عليها أن تلزم حدودها وألا تستفزه ، فالرجل رجل على أية حال .

الخادمة : هناك من يعتقد أنه التقى بها وتحدث إليها مرات كثيرة .

لابونثيا : نعم . هذا صحيح [ ثم مضيفة فى صوت خفيض ] وأشياء أخرى أكثر خطورة ! ..

الخادمة : لست أعرف ما الذى سيجرى هنا .

لابونثيا : ما أرغبنى فى أن أعبر البحر ، وأترك هذه الدار . . . دار الحرب !

الخادمة : ولكن برناردا تتعجل تدابير الزواج ، وربما حال ذلك دون حدوث أى شىء .

لابونثيا : لقد وصلت الأمور إلى حد بالغ من النضوج ، وأديلا لن تتردد فى القيام بأى

شيء ، وأما الأخريات فإنهن يرقبن دون كلال . . .

الخادمة : ومارتيريو أيضا ؟

لابونثيا : هذه هي شرهن جميعاً ، إنها بئر من السموم ، وهي منذ أن رأت أن « إل رومانو » ليس من نصيبها فإنها مستعدة لإغراق العالم كله لو كان ذلك في يدها .

الخادمة : يا لهن من نساء خبيثات !

لابونثيا : لا . . . هن نساء بلا رجل . . لا أكثر من ذلك ، وفي مثل هذه الأحوال ليس من الغريب أن ينسين كل شيء . . . حتى حرمة الدم [ تمد أذنيها في تسمع ] هس ! . .

الخادمة : ما هناك ؟

لابونثيا : [ ناهضة ] — ألا تسمعين نباح الكلاب ؟

الخادمة : يبدو أن أحداً يقترب من البوابة . .
[ تظهر أديلا في قميص أبيض ] .

لابونثيا : ألم تأوي إلى فراشك ؟

أديلا : سأشرب قدحا من الماء [ تتقدم إلى المائدة وتشرب قدحاً من الماء ] .

لابونثيا : كنت أظنك نائمة .

أديلا : لقد أيقظني العطش ، وأنتما . . ألا تذهبان للنوم ؟

الخادمة : نعم . . الآن . [ تخرج أديلا ] .

لابونثيا : هيا بنا .

الخادمة : إننا نستحق قسطاً من النوم ، فإن برناردا لا تدعني أخلد إلى الراحة طول اليوم .

لابونثيا : خذي معك المصباح .

الخادمة : الكلاب تنبح كما لو انتابها الجنون .

لابونثيا : لست أظنها تركتنا ننام [ تخرجان ] .

[ يبقى المسرح لحظات خالياً يسوده الظلام ، ثم تظهر ماريا خوسيفا وبين ذراعيها شاة صغيرة ] .

ماريا خوسيفا : أي شاتي الصغيرة ، بل طفلي الحبيب !
هيا بنا إلى ساحل البحر
حيث النملة جالسة على باب وكرها . .
هلمّي إليّ أعطك الخبز واللبن . .

° ° °

برناردا ،

يا وجه الفهدة ..

ماجدالينا ،

يا وجه الضبعة ..

وأنت أى شاتى الصغيرة . .

تعالى معى إلى سعف النخيل

على باب « بيت لحم » .

° ° °

لا أنت ولا أنا نريد النوم

تعالى ، فالباب سينفتح لنا من تلقاء نفسه

وهناك .. على شاطئ البحر ..

سنأوى إلى كوخ من المرجان

° ° °

برناردا ،

يا وجه الفهدة ..

ماجداليا ،

يا وجه الضبعة ..

وأنت أى شاتى الصغيرة ..

مى .. ى .. مى .. ى .. ى

تعالى معى إلى سعف النخيل

على باب « بيت لحم » [ تذهب مترنمة بهذه الأغنية ]

[ تدخل أديلا فتنظر حواليها فى حذر ثم تخرج من الباب المؤدى إلى الحظيرة . تظهر مارتيريو من باب آخر وتقف فى وسط المسرح متطلعة حواليها فى ترقب وتربص ، وهىَ كذلك بقميص ، وقد ألقت على كتفيها شالا أسود ، تعود إلى الظهور أمامها ماريا خوسيفا ]

مارتيريو : جدتى .. إلى أين تذهبين ؟

ماريا خوسيفا : افتحى لى الباب .. ولكن من أنت ؟

مارتيريو : كيف أتيت إلى هنا ؟

ماريا خوسيفا : لقد هربت من غرفتى .. من أنت ؟

مارتيريو : عودى إلى فراشك ياجدتى .

ماريا خوسيفا : أنت مارتيريو . . هأنذا أراك . [ متغنية ]

مارتيريو : ياوجه البلاء والآلام ! متى سيكون لك ابن ؟ لقد أنجبت أنا هذا [ تشير إلى الشاة بين ذراعيها ]

مارتيريو : من أين أتيت بهذه الشاة ؟

ماريا خوسيفا : نعم ، إنى أعرف أنها شاة ، ولكن لماذا لا تكون الشاة طفلا ؟ من الخير أن تكون لك شاة على ألا يكون لديك شيء أبدا [ تعود إلى الترنم : برناردا ، يا وجه الفهدة ! ماجدالينا ، يا وجه الضبعة !

مارتيريو : لا ترفعى صوتك ..

ماريا خوسيفا : نعم .. هذا حق ، الظلام يضرب أطنابه فى كل مكان .. وأنت تظنين أننى لا أستطيع أن أنجب أولاداً لأن شعرى قد ابيضّ . . فاعلمى أنى سيكون لى أبناء وأبناء وأبناء ، وهذا الطفل الذين ترين

أبيض الشعر ، وسيكون له طفل ، وسينجب هذا آخر .. وكلهم سيكون لهم شعر بلون الجليد .. سنكون مثل أمواج البحر : موجة بعد موجة .. وسنجلس جميعا وقد ابيضت شعورنا فنستحيل إلى زَبَد ، كذلك الذى يعلو قمم الأمواج .. لماذا لا يوجد زبد فى هذا البيت ؟ إنى لا أرى هنا إلا ثياباً سوداً بلون الحداد ..

مارتيريو : اسكتى ... اسكتى ..

ماريا خوسيفا : حينما كان يولد لجارتى ولد كنت أزورها حاملة لطفلها الحلوى ، وهكذا كانت تفعل هى حينما آتى أنا بولد .. هكذا ، دائما ، دائما ، دائما . أما أنت فسيبيض شعرك ولكن لن تأتى الجارات لزيارتك . على الآن أن أذهب ، ولكنى أخشى أن تعضنى الكلاب . أترافقينى حتى أخرج

إلى الحقل ؟ .. فأنا أحب الحقول ،
وأحب البيوت .. ولكنى أعنى البيوت
المفتوحة حيث ينام النساء على أسرتهن
وفى أحضانهن أطفالهن الصغار ، بينما
يجلس أزواجهن ، على عتبات البيوت ..
إن « بيبي إل رومانو » عملاق هائل ،
وأنتن جميعا مغرمات به ، ولكنه سيلتهمكن
واحدة واحدة . لأنكن لستن إلا حبات
من القمح .. لا ، لستن حبات من القمح
بل ضفادع بلا ألسنة ! ..

مارتيريو : هيا .. اذهبى إلى الفراش ! [ تدفعها إلى الخارج ]

ماريا خوسيفا : نعم ، سأذهب ، ولكنك ستفتحين لى الباب بعدُ ، أليس كذلك ؟

مارتيريو : نعم .. كونى متأكدة من هذا .

ماريا خوسيفا : [ تذهب باكية وهى ترنم ] –
أى شاتى الصغيرة ، بل طفلى الحبيب

هيا بنا إلى ساحل البحر
حيث النملة جالسة على باب وكرها
هلمّى إلىّ أعطك الخبز واللبن ..

[ مارتيريو تقفل الباب الذى خرجت منه ماريا خوسيفا ، ثم تتوجه إلى باب الحظيرة ، وهناك تتردد ، قليلا ثم تخطو خطوتين إلى الأمام ]

مارتيريو : [ فى صوت منخفض ] — أديلا ! [ لحظة صمت ، ثم تتقدم إلى الباب وتنادى بصوت مرتفع ] أديلا ! [ تظهر أديلا وهى مشعثة الشعر ]

أديلا : ماذا تريدين منى ؟

مارتيريو : اتركى هذا الرجل !

أديلا : ومن أنت حتى تقولى لى ذلك ؟

مارتيريو : ليس هذا هو المكان الذى يليق بامرأة شريفة .

أديلا : ماكان أشد رغبتك فى أن تختليه أنت عوضا عنى !

مارتيريو : [ ترفع صوتها ] — لقد آن الوقت لكى

أتكلم ، فما كان لهذا الذى تفعلين أن يستمر هكذا .

أديلا : إن ما أفعل ليس إلا البداية فقط . لقد كان لى فضل السبق . . . فضل القوة والجرأة الذى لم يقدر لك منه نصيب . . لقد رأيت الموت تحت سقوف هـذا البيت ، ولكنى خرجت باحثة عما هو من حقى . . . عما يجب أن يكون لى !

مارتيريو : هذا الرجل المنقلب إنما أتى من أجل امرأة أخرى ، فتعرضت له أنت وقطعت عليه الطريق .

أديلا : لقد أتى من أجل مالها ، ولكنه لم يثبت عينيه إلا فىّ أنا .

مارتيريو : لن أسمح لك بانتزاعه ، وسيكون زواجه من أنجوستياس .

أديلا : أنت تعلمين خيراً منى أنه لا يحبها .

مارتيريو : نعم . أعلم ذلك .

أديلا : تعلمينه لأنك رأيتيه بعينيك . . . رأيت مدى حبه لى أنا .

مارتيريو : [ فى غيظ وغيرة ] — نعم .

أديلا : [ مقتربة منها ] — هو يحبنى . . . يحبنى أنا

مارتيريو : [ صائحة وهى لا تملك نفسها ] — أرجوك . أغمدى فى صـــدرى خنجراً إذا شئت ولكن لا تكررى علىّ ذلك !

أديلا : من أجل هذا تحاولين إبعادى عنه . فإنه لا يهمك أن يعانق امرأة لا يحبها ، ولا يهمنى أنا ذلك أيضاً . أما أن يعيش مائة سنة مع أغوستياس فهو أمر لا يلقى منك مبالاة ولا اهتماما ، وأما أن يعانقنى أنا فهو ما يبـــدو لك هائلا فظيعاً ، وما ذلك إلا لأنك أيضاً تحبينه . . . نعم ، أنت تحبينه . . .

مارتيريو : [ تصيح فى انفعال ] — نعم . . دعينى أقل

لك ذلك فى غير مواربة .. دعينى
أصرح به وإن انشق صدرى كما تنشق
رمانة من الحنظل .. إننى أحبه ! ..

أديلا : [ تعانقها باكية ] — مارتيريو .. إن الذنب
ليس ذنبى ! ..

مارتيريو : [ تبعدها عنها فى عنف ] — لا تعانقينى ..
ولا تحاولى إلانة قلبى عليك .. إن دمى
لم يعد هو الدم الذى يجرى فى عروقك ..
وقد كنت أود أن أنظر إليك باعتبارك
أختا ، ولكنى لم أعد أرى فيك إلا مجرد
امرأة ! ..

أديلا : وأنا أقول إنه لم يعد هناك مجال لتدارك
ما وقع ، والتى لم يبق أمامها إلا أن
تغرق فلتغرق نفسها .. أما « بيبى إل
رومانو » فإنه لى .. لى أنا ، وله أن
يفعل بى ما يشاء !

مارتيريو : كلا ! هذا لن يكون !

أديلا : لم أعد أستطيع تحمل بشاعة هذه السقوف بعد أن ذقت طعم فمه : إننى ملك له ، وسأكون ما يريد هو لى أن أكون ، حتى ولو اجتمع علىّ كل أهل هذا البلد . . حتى ولو أحرقونى مشيرين إلىّ بأنامل من وهج اللهيب . . حتى ولو طاردنى هؤلاء الذين يزعمون أنهم أعفة شرفاء . . ولأضعن على رأسى إكليلا من الشوك كما يفعل الناس بأولئك النساء اللاتى يعشقن رجلا متزوجا . .

مارتيريو : اسكتى بحق الله !

أديلا : نعم ! نعم ! [ فى صوت خفيض ] هيا بنا إلى الفراش ، ولنتركه يتزوج من أنجوستياس إذا شاء ، فهو أمر لا يهمنى ولا أحفل به ، وأما أنا فسأذهب لأعيش وحيدة فى بيت صغير يستطيع هو فيه أن يرانى حينما يشاء ، وكلما أراد . .

مارتيريو : إن ذلك لن يحدث طالما جرت فى جسدى قطرة دم .

أديلا : أما أنت فإنك أضعف من أن أدل عليك بقوتى ، ولكنى أقول لك إن لدىَّ من القدرة ما أستطيع به أن أذلل جواداً جموحاً حتى يركع على ركبته أمامى بإشارة من إصبعى !

مارتيريو : لا ترفعى صوتك هذا الذى يثير من ثائرة غضبى . إن فى قلبى الآن تياراً جارفا من الحقد أكاد أنا نفسى أختنق به دون أن أشعر !

أديلا : لقد علمونا أن نكون أخوات وعلى أن يكون بيننا من الحب ما يكون بين الإخوة ، ولكن يبدو أن الله تركنى وحيدة فى وسط هذا الظلام ، فإننى أنظر إليك الآن كما لو كنت أراك لأول مرة .

[ يسمع صوت صفير ، أديلا تجرى إلى باب الحظيرة فتعترض مارتيريو طريقها ] .

مارتيريو : إلى أين ؟

أديلا : ابتعدى عن هذا الباب .

مارتيريو : مرى إذا استطعت .

أديلا : ابتعدى [ يشتبكان فى صراع عنيف ]

مارتيريو : [ صائحا ] — أماه ! .. أماه !

[ تظهر برناردا فى قميص وقد ألفت على كتفيها شالا أسود ]

برناردا : رفقا .. رفقا .. ! يا لحظى المنكود .. إذ لم يجعل الله بين أصابع يدىّ نيرانا وصواعق !

مارتيريو : [ مشيرا إلى أديلا ] — لقد كانت معه ! انظرى إلى قميصها وقد امتلأ بتين الحظيرة !

برناردا : إنما هذا سرير الفاجرات ! .. [ تتقدم

نحوها وقد أمسكت فى يدها عصا غليظة فى
صورة الغضب ]

أديلا : [ تواجهها ] — لقد آن أن تصمت فى هذا
البيت صرخات السجانين والسجناء !
[ تنتزع العصا من يد أمها وتكسرها إلى نصفين ]
وهذا هو ما أفعله بعصا الطاغية ..
واحرصى على ألا تتقدمى خطوة
واحدة . لم يعد لأحد من سلطان علىّ
إلا « بيبى » .

ماجداليا : [ خارجة ] — أديلا !
[ تخرج لابونتيا وأنجوستياس ]

أديلا . أنا وحدى امرأته [ متجهة إلى أنجوستياس ]
فاعلمى ذلك واذهبى إلى الحظيرة فاسأليه
إذا شئت . إنه سيحكم هذا البيت ،
وها هو ذا هناك يتنفس كأنه أسد !

أنجوستياس : يا إلهى !

برناردا : البندقية .. أين البندقية ؟ [ تخرج مهرولة ]

[ تخرج مارتيريو ، ثم تظهر أمبليا فى طرف المسرح وهى تنظر فى فزع إلى ما يحدث وقد أسندت رأسها إلى الحائط ]

أديلا : لن يجرؤ أحد على اعتراض طريقى ! ..
[ تهم بالخروج ]

أنجوستياس : [ تتشبث بها ] — لن تخرجى منها بجلدك ظافرة .. يا لصة .. يا سبة هذا المنزل !

ماجدالينا : دعيها تخرج إلى حيث لا نعود لرؤيتها أبداً .

[ يسمع فى الخارج صوت طلقة نارية ]

برناردا : [ داخلة ] — اذهبى لتلحقى به الآن إذا شئت .

مارتيريو : [ داخلة ] — قد انتهى « بيبى إل رومانو » .

أديلا : [ صارخة ] — بيبى ! .. يا إلهى ! بيبى !
[ تخرج مسرعة ]

لابونثيا : ولكن . . أقتلتموه ؟

مارتيريو : لا . . لقد هرب مسرعا على بغلته .

برناردا : ليس لى ذنب فى ذلك ، فالنساء لا يسددون الإصابة .

ماجدالينا : [ متوجه إلى مارتيريو ] — لماذا قلت ذلك إذن ؟

مارتيريو : من أجلها هى . . فقد سقط عليها النبأ كما لو كان قد تفجر على رأسها نهر من الدم .

لابونثيا : ألا لعنك الله . .

ماجدالينا : يا لك من شيطانة خبيثة !

برناردا : ربما كان هذا أفضل [ يسمع صوت كأنه ارتطام جسم ]

أديلا : أديلا !

لابونثيا : [ على باب الحظيرة ] افتحى .

برناردا : افتحى ، ولا تخالى أن هذه الجدران ستستر عارك !

الخادمة : [ تدخل ] — لقد استيقظ جميع الجيران !

برناردا : [ فى صوت منخفض متحشرج كأنه الزئير ]

افتحى ! وإلا فإنى سوف أحطم الباب

[ لحظة صمت تسود المكان كله ] أديلا !

[ تتراجع عن الباب ] . إلىّ بمطرقة !

[ تدفع لابونثيا الباب بجسمها دفعة قوية وتدخل ، تسمع منها صرخة عالية ثم تعود إلى الخروج مسرعة ] ماذا حدث ؟

لابونثيا : [ ترفع يديها إلى رقبتها ] — اللهم لا تقدر علينا مثل هذا المصير !

[ "فتيات يتراجعن فى هلع ، الخادمة ترسم علامة الصليب ، برناردا تطلق صرخة ثم تتقدم نحو الباب ] .

لابونثيا : لا . . . لا تدخلى !

برناردا : لا . . . أنا لا . وأما أنت يا بيبى فإنك مضيت حيا ، ولكنك ستظل تجرى فى ظلام غابات الحور ملتمساً طرق الهرب ، غير أنك ستقع آجلا أو عاجلا . . . وأما ابنتى فأنزلوها : : : إنها ماتت

عـــذراء . . . احملوها إلى غرفتها
وألبسوها ثياب العذارى . . . ولا يقولن
أحد منكم شيئاً . . ابنتى ماتت عذراء ،
وأبلغوا النبأ حتى تدق أجراس الكنيسة
فى الفجر معلنة أن فتاة بكراً قد اختارها
الله إلى جواره . . .

مارتيريو : لقد أسعدها الله ألف مرة إذ قدر لها
هذه النهاية !

برناردا : ولست أريد صراخاً ولا بكاء . فإن
الموت قدَر ينبغى أن ننظر إليـــه
وجهاً لوجه . [ متوجهة لإحدى بناتها ]
سكوتا ! . . [ متوجهة لبنت أخرى ]
اسكتى قلت لك ! وإذا أردتن سكب
الدموع فافعلن حينما تخلون إلى أنفسكن ،
فحينئذ لنغرق فى بحر من الحـــداد
الأسود . . . إنها هى . . . ابنة برناردا

ألبا الصغرى . . . قد ماتت عذراء . .
عذراء ... عذراء ! أسمعتن ؟ والآن ...
لتسكتن جميعاً . . . لا أريد أن أسمع
صوتاً لواحدة منكن . . .

[ ستار ]

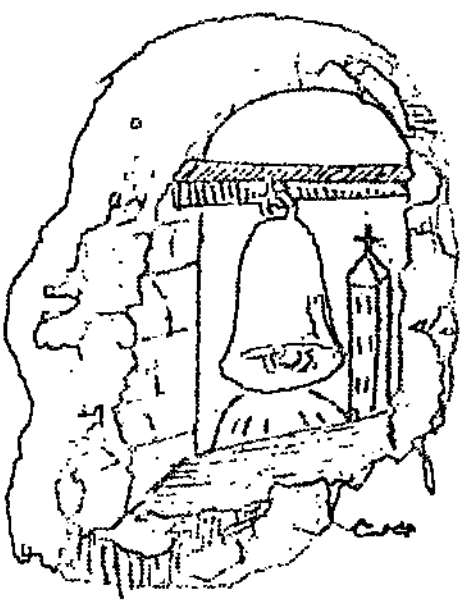

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٦٢